مصادر الشعر الأولى

لم يصل الدارسون المحدثون إلى رأى قاطع ، أو رؤية واضحة ، فيما يتصل بمصادر الادب الأولى ، ويبدو من الأخبار الملتقطة من هنا وهناك أن جمع الشعر الجاهلى راكب الحركة العلمية فى العصر الأموى ، متمثلة فى تقدم علوم اللغة والنحو ، والتى أخذت شكلها النهائى مع قيام الدولة العباسية ، بعد أن تولى المنصور الخلافة عام ١٣٦ هـ = ٧٥٤ م وإلى علمائها فى البصرة والكوفة يعود الفضل فى جمع النصوص الشعرية والأخبار التاريخية المتعلقة بها ، على نحو منهجى ، وهو جمع أخذ أشكالا مختلفة ، فقد يكون شعر قبيلة بأكملها ، أو شاعر بعينه ، أو لطبقة معينة من الشعراء ، حسب مكانتهم الفنية ، أو الاجتماعية ، أو فى شكل مختارات ترضى أذواق الذين تتوجه إليهم ، وتعكس بالتالى ذوق المختار وميله الأدبى .

ويمكن القول أن دواوين الشعر التى يحمل الواحد منها اسم شاعر بعينه جاءت تالية ، وحتى ربما كانت ثانوية ، بالنسبة لدواوين القبائل نفسها ، وقد يكون بعضها مقتطعا من هذه ، أو من الأخبار التى تدور حول حياة الأبطال وقتالهم ، ولو أن هذا لا ينفى أن بعض دواوين الشعر ترجع صناعتها إلى زمن بعيد جدا ، كما هو الحال فى **المعلقات** مثلا ، وهى أقدم دواوين الأفراد ، وربما كانت الدافع وراء اختيار القصائد الكبار ، لآحاد الشعراء المشهورين ، وجَمْعها فى مجموعات متميزة .

○ دواوين القبائل :

ليس مبالغة أن نقول إن المحاولات الأولى لجمع الشعر المنتمى إلى قبيلة واحدة بأكملها تعود إلى العصر الجاهلى وصدر الإسلام ، ولدينا إشارات تدعم هذا الاحتمال . فالشاعر الجاهلى **بشْر بن أبى خازم الأسدى** ، وعاش فى النصف الثانى من القرن السادس الميلادى ، وعاصر **النابغة الذبيانى** ، ضمن بيتاً له حكمةً ، شطر بيت ، وجدها فيما يقول فى كتاب بنى تميم :

وجدنا فى كتاب بنى تميم [أحقُّ الخيل بالركض للعارُ]

وثمة رواية تشير إلى أن عمر بن الخطاب أوصى الأنصار أن يكتبوا شعرهم فى هجاء قريش وأن يحتفظوا به ، فدونوا ذلك عندهم ، وظلت هذه المجموعة متداولة فترة من الزمن . ولعل قسما من هذا الشعر وصل إلينا ، فقد أفاد منه عبيد الله بن محمد بن عمارة بن القدّاح ، المتوفى فى نهاية القرن الثانى الهجرى فى مؤلفه « كتاب نسب الأنصار » .

ولم يصلنا شىء مما دون فى العصر الجاهلى أو صدر الإسلام ، ولكن الأخبار التى وصلتنا عن هذه المؤلفات ، واقتباس المتأخرين منها ، يعيننا على تصور عام لمحتواها ، ويمكن القول معه إن الشعر كان يجىء فى نطاق الحوادث متصلة به ، وأن العناوين التى كانت تطلق عليها مما يشبه عناوين دواوين الشعراء ، فلا تذكر فيها كلمة ديوان ، وإنما « شعر » ، أو « أشعار » ، أو « كتاب » أو « خبر » ، أو « أخبار » ، أو « أشعار وأخبار » ، وأقدم ماجمع منها كان غفلا من اسم جامعه .

وقد شاعت صناعة دواوين القبائل فى العصر الأموى ، ويروى أن أبا عمرو الشيبانى ، المتوفى ٢٠٦ هـ = ٨٢١ م جمع أشعار أكثر من ثمانين قبيلة ، اعتمد عليها الرواة فيما بعد ، وطريقته أن يجمع المتاح من شعر القبيلة ، وماتفرّق من نتاج أسلافها ، واعتمد فى هذا على شيخه المفضل الضبى ويظن أن قسما كبيرا من قصائده « المفضليات » كانت اختيارات من دواوين القبائل المتاحة لديه .

وكانت كتب الأخبار والأنساب تتضمن أيضا شيئا من شعر القبائل ، ويصف على ابن عمر الدار قطنى « كتاب النسب العتيق فى أخبار بنى ضَبَّة » بأن صاحبه « جمع فيه أخبار بنى ضبَّة وأخبار شعرائهم » . وهناك « كتاب فى أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها » لعبيد بن شرية الجرهمى ، ومحتواه واضح من عنوانه . وكتاب الزبير بن بكار « جمهرة نسب قريش » ، وتضمن معلومات فى الأنساب ، وشيئا من قصص القبائل ، ومجموعة متنوعة من شعر قريش .

نعرف عناوين دواوين القبائل مباشرة من كتب الفهارس ، أو نلتقى بها متناثرة فى كتب المختارات الأدبية ، وكتب الطبقات التى اعتمدت على دواوين القبائل ، وقد أورد ابن النديم ، المتوفى ٣٨٥ هـ = ٩٩٦ م ، فى كتابه « الفهرست » أسماء ثمانية وعشرين ديوانا كلها منسوبة إلى صانعها ، خمسة وعشرون منها صنعها

أبو سعيد السكرى[1] ، وواحد نسبه إلى ابن الكلبى . وذكر الآمدى المتوفى ٣٧٠ هـ = ٩٨١ م ، ستين ديوانا من دواوين القبائل ، واقتبس منها ، وأحيانا كان يبدى عنها ملاحظات مفيدة ، توضح طبيعتها ومحتواها ، وكان كثيرا مايوازن بينها وبين ماعند السكرى ، ولكنه لم ينسبها إلى جامع أو صانع باستثناء ديوان واحد ، وأفاد منها فى كتابه « منتخل القبائل » ولم يصلنا ، وذكر الأغانى أن الأصمعى جمع أشعار بنى جعدة ، وأشعار الأنصار . وجانب من هذه الكتب يمكن أن يعود إلى الفترة الأولى ، قبل أن يقوم اللغويون بصنعة الدواوين .

وجمعوا أيضا أشعار اليهود والقبائل اليهودية عدة مرات ، فقد ذكر الآمدى فى مؤلفه « المؤتلف والمختلف » « كتاب بنى قُريظة » وألف ثعلب كتاب « أشعار اليهود » ، وجمع السكرى أيضا أشعار اليهود ، وأكمل هذه المجموعة محمد بن جعفر الطيالسى .

وهذه الدواوين لم تصلنا كاملة ، وإنما نجد إشارات إليها هنا أو هناك ، فى الكتب الأدبية المختلفة كالأغانى ، والمؤتلف والمختلف ، وتاريخ بغداد ، والموازنة بين الطائيين ، وخزانة الأدب للبغدادى وغيرها ، ولم يقم أحد بعد بجمع القطع الباقية منها ، والتأليف بين أجزائها ، لتعطى على الأقل صورة ولو بدائية وتقريبية لما كانت عليه .

الديوان الوحيد الذى وصلنا كاملا من بين كل الدواوين التى سبقت هو :

○ ديوان الهُذَلِيِّين :

وهو الديوان الوحيد الذى وصلنا من بين دواوين القبائل ، ويتضمن كله شعرا لقبيلة هذيل . وهى قبيلة هامة فى الحجاز ، وكانت ديارهم حول مكة ، ولهم فيها على حد تعبير ابن حزم الأندلسى « عدد وعدة ومنعة » ، ولم يبق منها اليوم سوى عناصر تحضرت تسكن مدينة الطائف ، شُهرت بالشعر ، وكان الإمام الشافعى معجبا بشعرهم ، وراوية له ، ويحفظ عشرة آلاف بيت منه بإعرابها وغريبها ومعانيها ، وذكر حسّان بن ثابت أن عدد شعرائها فى عصره تجاوز الثلاثين ، ويقول

---

(١) انظر دراستنا له فى هذا الكتاب.

ابن حزم ، وهو من علماء القرن الخامس الهجرى ، كان فيهم : « نيّف وسبعون شاعرا مشاهير » ، وذكر أسماء بعضهم . ونعرف من الأشعار التى وصلتنا أكثر من مئة شاعر ، سبعة فقطْ لكل واحد منهم أكثر من مئة بيت ، أما سائرهم فلم تصل لهم إلا مقطوعات صغيرة .

وقد استدرك ابن جنى ، المتوفى ٣٩٢ هـ = ١٠٠٢م ، على السكرى مافاته ، وألف كتابه « التمام فى تفسير أشعار هذيل ، مما أغفله أبو سعيد السكرى » ، وهو كتاب وصلنا ، وقام على تحقيقه أحمد ناجى القيسى وآخرون ، ونشر فى بغداد عام ١٩٦٢ .

وتضم مخطوطة « منتهى الطلب من أشعار العرب » لمحمد بن المبارك ، وسنعرض لها تفصيلا فيما بعد ، أشعارا مختارة من ديوان الهذليين ، فى الجزء الخامس منها ، الصفحات ١٧٦أ - ٢٢٤ . لخمسة وعشرين شاعرا ، ولاتطابق صنعة السكرى إلا فى قسم منها .

أمّا شرح المرزوقى لأشعار الهذليين ، وكذلك شرح أبى بكر محمد بن يوسف القارى ، المتوفى ٩٤٥ هـ = ١٥٣٥ م ، وأشار إليهما البغدادى كثيرا فى خزانة الأدب ، فلا نعرف عنهما شيئا غير هذه الإشارات .

بدأ جمع ديوان الهذليين بطريقة غير منظمة فيما يبدو ، واعتمد على جمع متأخر ، وأعاد سبكه النحوى الرمانى المتوفى عام ١٨٤ هـ = ٩٩٤ م ، ونعرف أن عبد القادر البغدادى صاحب خزانة الأدب ، المتوفى عام ١٠٩٣ هـ = ١٦٨٢ م كان يملك نسخة من ديوان الهذليين كُتبت عام ٢٠٠ هـ = ٨١٦ م ، أن أبا سعيد السكرى نقّح نسخة الديوان بعد عام ٢٧٥ هـ = ٨٨٨م ، وأن مصادر نسخته تتمثل فى عالم مجهول اسمه عبد الله بن إبراهيم الجمحى ، وأن قسما كبيرا منها مصدره الأصمعى وأبو عمرو الشيبانى وابن الأعرابى ، ويرد أبو عبيدة قليلا .

طبع ديوان الهذليين لأول مرة فى أوربا فى القرن الماضى فى ثلاث مجموعات :

● المجموعة الأولى قام بها كوز جارتن فى لندن عام ١٨٥٤ م ، وعليها شرح السكرى ، وكتب عليها : « كتاب منتهى أشعار الهذليين ، صنعة أبى سعيد الحسن ابن الحسين السكرى » وتشتمل على شعر تسعة وعشرين شاعرا من شعراء هذيل .

● المجموعة الثانية ، كُتب عليها « أشعار الهذليين مابقى منها فى اللندونية (الليدنية) غير مطبوع » ، وطُبعت فى برلين عام ١٨٨٤ ، وترجم المستشرق الألمانى فلهوْزِن شعرها إلى اللغة الألمانية ، ونشر الترجمة عام ١٨٨٧ م ، وتضم هذه المجموعة شعر سبعة وعشرين شاعرا من هذيل ، إلى جانب ذكر بعض الوقائع وأيام العرب ، وماقيل فيها من الشعر . وهذه المجموعة الثانية مكملة للمجموعة الأولى التى عليها شرح السكرى وهى مخطوطة فى ليدن بهولندا .

● المجموعة الثالثة ، طبع منها جزءان ، كتب على الأول منها : « مجموع دواوين من أشعار الهذليين » ، وهو يشتمل على ديوان أبى ذؤيب ، اعتنى بنشره ، واستخرجه لأول مرة يوسف هل الألمانى ، هانوفر خزانة الكتب الشرقية ، لهاينس لافاير سنة ١٩٢٦ . وكُتب على الثانى : « مجموعة أشعار الهذليين ، الجزء الثانى ، أشعار ساعدة بن جؤية ، وأبى خراش الهذلى ، والمتنخِّل ، وأسامة بن الحارث ، اعتنى بنشرها يوسف هل الألمانى طبع بمدينة ليبزج سنة ١٩٣٣ » . وشرح هذا الجزء يتفق مع شروح النسخة الشنقيطية الموجودة فى دار الكتب المصرية ونصها ، ولكنها يختلفان فى ترتيب الشعراء ، وفى ترتيب شعر أبى ذؤيب الهذلى ، وهذه المجموعة مترجمة كلها إلى الألمانية .

ونشرت دار الكتب المصرية ديوان الهذليين محققا ، اعتمادا على مخطوطة الشنقيطى . وجاء فى ثلاثة أجزاء الأول صدر عام ١٣٦٤هـ = ١٩٤٥ ، ويضم القسم الأول ، ويحتوى على شعر أبى ذؤيب ، وشعر ساعدة بن جؤية . وصدر الجزء الثانى ، وبه القسم الثانى فى ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م ويضم أشعارا لكل من : المتنخل ، وعبد مناف بن ربع ، وصخر الغىّ ، وحبيب الأعلم ، وأبى كبير ، وأبى خراش ، وأمية بن أبى عائذ ، وأسامة بن الحارث ، وساعدة بن جؤيّة ، وأبى المثلّم ، وأبى العيال ، وبدر بن عامر . وصدر الجزء الثالث ، وبه القسم الثالث والأخير ، فى ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠ م ، ويضم أشعارا لكل من : مالك بن خالد الخُناعّى ، وحذيفة بن أنس ، وأبى قِلابة ، والمعطل ، والبُريق ، ومعقل بن خويلد ، وقيس بن عيزارة ، ومالك بن الحارث ، وأبى جندب ، وأبى بثينة ، ورجل من هذيل ، وعمرو بن الداخل ، وساعدة بن العجلان ، ورجل من بنى ظفر ، وكليب الظفرى ، والعجلان ، وعمرو ذو الكلب ، وجنوب أخته . ثم أعادت وزارة

الثقافة طبعه مصورا فى مجلد واحد عام ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م .

كما قام **عبد الستار أحمد فراج** بإعادة نشر « كتاب شرح أشعار الهذليين صنعة السكرى » ، فى ثلاثة أجزاء ، وراجع التحقيق الأستاذ **محمود محمد شاكر** ، وصدر فى القاهرة عن دار العروبة عام ١٩٦٣ .

○ **دواوين الشعراء :**

منذ عهد بعيد كان شعر الشاعر الواحد يجمع بين دفتى كتاب ، وجُلّ هذه الدواوين فُقِد ولم يصلنا ، ولم يكن يوصف هذا المجموع بأنه ديوان . وإنما كان يطلق عليه لفظ « شعر » ، أو « خبر » ، وقد أشرنا فيما سبق أن تدوين الشعر كان مألوفا فى الجاهلية وصدر الإسلام على السواء ، ولكن الدواوين التى وصلتنا لا تقدم لنا الشكل الأصلى لهذه الدواوين ، لأن علماء اللغة فى القرنين الثانى والثالث الهجريين أعادوا ترتيبها حسب أذواقهم وغاياتهم ، ولكنهم لم يقعدوا أبدا عن السعى الدائب والملح وراء المصادر ، ولم يتوقفوا عن النقل والرواية والتنظيم والتبويب ، وكان **السكرى** كما رأينا أكثر العلماء صنعا للدواوين ، وتميز بمنهج دقيق حمده له الأقدمون ، فهو يقارن بين الروايات المختلفة ، لديوان الشاعر الواحد ، ويختار أصحها لديه ، حتى وصفه **ياقوت الحموى** بأنه : « إذا جمع جمعا » فهو الغاية فى الاستيعاب والكثرة » .

وبينما وقف **السكرى** جهده على صنع دواوين القدامى ، اتجه آخرون ، أوضحهم **الصولى** المتوفى ٣٣٥ هـ = ٩٤٦ م ، إلى صنع دواوين للشعراء المحدثين ، وتعدى الصولى ذلك فألف فى أخبارهم ، ويمكن معرفة جهده فى ذلك كاملا بالرجوع إلى قائمة كتب الفهرست لابن النديم ، وتقدم بها منهجيا فرتبها أبجديا حسب قوافيها ، وجاء **حمزة الأصفهانى** المتوفى نحو عام ٣٦٠ هـ = ٩٧٠ م فمضى بالأمر خطوة أخرى فرتبها بحسب أغراضها ، وهو اتجاه يخدم دارس الشعر ويعينه ، ومنهج تخلى عنه حين صنع ديوان أبى نواس ، فرتبه حسب القوافى ، وربما فعل هذا لإرضاء الرواة والأدباء

ولانكاد نمضى مع القرن الرابع الهجرى حتى نجد من الشعراء من بدأ يصنع ديوانه بنفسه ، فجمع **السرىّ الرفاء** المتوفى عام ٣٦٠ = ٩٧٠ م ، ديوان شعره

قبل موته ، فى نحو من ثلاث مئة ورقة ، ثم زاد فيه بعد ذلك . ورتب أبو فراس الحمدانى ، المتوفى ٣٥٧ هـ = ٩٦٧ م ، ديوان شعره قبل وفاته بقليل ، بعد أن نقده ، ومحا بعض قصائده ، وكان قبلها يدفع بأشعاره إلى راويته العالم اللغوى ابن خالويه المتوفى ٣٧٠ هـ = ٩٨٠ م ويخصه بآثاره ، ويحظر عليه أن يذيع عنه مايرويه له .

فإذا بلغنا القرن الخامس الهجرى ، الحادى عشر الميلادى ، وجدنا عدة اتجاهات تتقسَّم صناعة الدواوين ، فهناك من واصل الاهتمام بآثار الأقدمين بعامة ، والجاهليين من بينهم بخاصة ، ومن اهتم بأشعار المحدثين وآثارهم ، كما فعل أبو سعيد بن دوست ، المتوفى ٤٣١ هـ= ١٠٤٠ م ، وصنع أبو بكر الصولى ، المتوفى ٣٣٥ هـ = ٩٤٦ م ، دواوين أربعة عشر شاعرا كلهم ينتمون إلى العصر العباسى . ومن وقف بجهده عند معاصريه ، فصنع الحميدى الأندلسى المتوفى عام ٤٨٨ هـ = ١٠٩٥ م ديوان ابن حزم المتوفى ٤٥٦ هـ = ١٠٦٣ م ، ورتبه على حروف المعجم ، ولما يصلنا ، وجمع أبوطالب محمد بن ابراهيم السرقسطى ، وعاش حتى سنة ٤٩٠ هـ = ١٠٩٧ م ، ديوان ابن درّاج القسطلى ، المتوفى ٤٢١ هـ = ١٠٣٠ م ، ورتبه وزاد فيه كثيرا على مابأيدى الناس .

واتسعت دائرة الشعراء الذين يصنعون دواوينهم بأنفسهم ، ويختارون لها عناوين خاصة ، ويجعلونها فى أكثر من جزء ، فضم أبو العلاء المعرّى أشعار شبابه فى ديوانه « سقط الزند » ، وأشعار مابعد الشباب فى ديوان آخر أسماه « لزوم مالايلزم » ، وأحسب انه أول من اختار أسماء لدواوينه ، وهى ظاهرة سوف تتسع مع الزمن ، فنجد ابن أفلح ، المتوفى ٥٣٧ هـ = ١١٤٢ م ، يجمع شعره ، ويرتبه أبجديا حسب القوافى ، ويعنى به ، ويهذبه ، ويكتب له مقدمة يذكر فيها عدد أبيات كل قافية ، وجمع أبو المظفّر الأبيوردى ، المتوفى ٥٠٧ هـ = ١١١٣ م ، ديوانه بنفسه ، وقسّمه موضوعيا ، آخذا الجانب الجغرافى فى الاعتبار ، فسمّى الجزء الأول : النجديات ، والثانى : العراقيات ، والثالث : الوجديات ، وضم الرابع المقطعات . وهناك من الشعراء من آثر أن يضم قصائده فى نسختين ، إحداهما معربة ، والأخرى عارية من الإعراب ، كما فعل أحمد بن مطرف العسقلانى المتوفى ٤١٣ هـ = ١٠٢٢ م .

ومع الزمن أصبح الأصل أن يهتم الشاعر نفسه بشعره ، وأن يجمعه فى ديوان ، ولهذا قل اهتمام العلماء بصناعة الدواوين ، وارتدوا إلى القديمة منها يشرحونها ويدرسونها ويعلقون عليها .

وإذا ألقينا الآن نظرة إلى مابين أيدينا من الشعر القديم نجد جملة دواوين مما جمعه علماء العراق ، والسكرى من بينهم بخاصة ، وتشمل دواوين امرئ القيس ، والنابغة ، وزهير ، وطرفة ، وعنترة ، وعلقمة ، وعروة بن الورد ، والشنفرى ، وأوس بن حجر ، والمتلمس ، وعمرو بن قميئة ، وآخرين من المقلين . وتختلف هذه الدواوين فى اتساعها ، فكثير منها لايزيد على عشرين صفحة ، وأطولها كدواوين النابغة وزهير وامرئ القيس لايتجاوز الثلاثين ، ولو أن التعشرين فى العصر الحديث اعتادوا أن يضيفوا إليها مايعثرون عليه لأصحابها أثناء مطالعاتهم ، من شعر متناثر فى كتب الأدب والتاريخ ، فتضخم بعضها عما كان عليه فى الأصل .

كذلك وصلنا طوفان من مخطوطات العصور التالية ، حين شاعت الكتابة والقراءة ، وصنع العرب الورق ، وأخذ الشعراء والأدباء والعلماء أنفسهم بتدوين كل شىء . والدواوين الجاهلية نُشر جلها محققا فى مصر أو أوربا ، وبقى القليل منها مخطوطا ، ولكنها لاتزال فى جملتها تحتاج إلى جهود أخرى ، تصحح أخطاءها ، وتوضح غوامضها ، وتيسر الفائدة منها ، ومانشر من دواوين العصور التالية قليل بالنسبة إلى وفرة إبداعها وامتداد زمنها واقتصار النشر على الأعلام البارزين من شعرائها ، مع أن نشرها يحتاج إلى جهد أقل ، يتمثل فى العثور على النسخ المختلفة للديوان الواحد إن وجدت ، ومعارضتها للوصول إلى النسخة الأكثر قربا من إرادة المؤلف ، أو الاعتماد على المصادر الأخرى حين تكون النسخة وحيدة .

عادة توجد القصائد والمقطعات مرتبة ابجديا فى هذه الدواوين ، بحسب القافية ، وهو أمر يسهّل على القارئ الوصول بسهولة إلى مايرغب فيه من شواهد شعرية ، ولكن الشعر غالبا مايروى دون ان تُذكر الظروف التى أوحت به ، أو قيل فيها ، ومن هنا يصعب فى كثير من الأحيان تحديد المقصود من الإشارات الواردة فى القصائد ، وبخاصة فى الشعر الجاهلى ، وبعض الأموى ، حيث يستمد الشعراء مادة صورهم من البيئة حولهم ، وهى غريبة على ساكن الحضر ، فاستدعى ذلك وضع الشروح لها ، وهى غالبا مزيج من تفسيرات لغوية ،

وتخريجات نحوية وصرفية ، لاتساعد كثيراً على فهم النص فيها كاملا دون الاستعانة بمراجع أخرى إضافية ، من كتب التاريخ وغيرها .

○ كُتُب المختارات :

عرفت الحياة الأدبية فى القرن الثانى الجرى وماتلاه ، إلى جانب صناعة دواوين الشعراء منفردين أو شعراء قبيلة مجتمعين ، اتجاهات أخرى لاتنتمى إلى أىٍّ من الاتجاهين السابقين ، وإنما تقوم على أساس الانتقاء لغايات تربوية أو تعليمية أو تذوقية من الدواوين المستقلة أو المجتمعة ، تختار القصائد الطوال ، أو المقطعات الجميلة ، أو الأبيات السائرة ، ويمكن أن نسميها : المختارات .

وكلما ارتقى المجتمع ، وشاعت الثقافة ، وتحضّر الناس ، وشغلوا بأمور الحياة ، ازدادت كتب المختارات وتنوّعت ، لأنها وسيلة التسية الراقية والوحيدة ، لمن لايحترفون الأدب ، ولايمتهنون العلم ، ويحاولون أن يأخذوا منها بنصيب ، وليس صوابا أن نهملها ، وليس فى مكنتنا أن نأتى عليها كلها وسنكتفى بأن نورد بعضها فى ضوء الاعتبارات التالية :

● لَئن تكون قد وصلتنا يقينا ، فهى متاحة إذن لمن يرغب فى العودة إليها ، سواء أكانت منشورة تجاريا ، أم محققة ، أم لاتزال مخطوطة ونعرف مكانها .

● لَئن تكون ذات أهمية تتمثل فى تنوع مادتها الشعرية ، وفى جدتها ، وألاّ تقتصر فى النقل على ماهو مشاع وبين أيدينا فعلا ، وتتضمنه مختارات أشهر ، وأن يسهل الوصول إليها إذا كانت مخطوطة ، لمن يبغى الإفادة منها أو يرغب فى تحقيقها .

● وصرفنا النظر تماما عن المختارات التى لم تصلنا ، ولانعرف عنها غير إشارات لأسمائها فى المصادر المختلفة ، أو وصلنا منها وريقات محدودة ، لاتعطى عن الكتاب إلاّ صورة جانبية ، وأقدم المختارات من القصائد الطوال الكاملة هى :

○ المعلَّقات :

جمعها حمّاد الراوية ، المتوفى ١٥٥ هـ = ٧٧١ م . وحثّ الناس على قراءتها فتذوّقوها ، وعرفوا قيمتها ، وشاعت بينهم ، ونالت حظا واسعا من الشرح

والحفظ ، واتخذ منها الشعراء مثلا يحاكونه ، وهى قصائد مطولة لعدد من كبار شعراء الجاهلية ، لم يتفق الرواة على عددهم ، وكانت تسميتها بالمعلقات موضع خلاف أيضا ، ولأن التسمية غامضة ، وتدعو إلى اللبس ، نشأت حولها قصة تحاول أن تقدم لها سببا .

والأرجح أن حمّادا الراوية لم يكن الجامع لها بدءًا ، وإنما كان أول من اختارها من مجموعات شعرية أكبر ، لتكون بمثابة نموذج شعرى يُحتذى ، أما الجمع نفسه فيعود إلى زمن أقدم من حماد نفسه ، ولدينا أكثر من إشارة إلى هذا الأمر . ففى مخطوطة « المنثور والمنظوم » يروى **أحمد بن طاهر طيفور** : المتوفى ٢٨٠ هـ = ٨٩٣ م ، أن **معاوية بن أبي سفيان** كلّف رواة الشعر باختيار قصائد تصلح لتعليم ابنه وروايته ، فقاموا باختيار اثنتى عشرة قصيدة لامرئ القيس ، وطرفة ، وزهير ، والحارث بن حِلِّزة ، ولبيد ، وعمرو بن كلثوم ، وعبيد بن الأبرص ، وسويد بن أبى كاهل ، والنابغة الذبيانى ، وعنترة . وربما كان منهم الأعشى أيضا وحسّان بن ثابت .

ويذكر أيضا أن **عبد الملك بن مروان** اختار قصيدة واحدة لكل شاعر من الشعراء السبعة : عمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلزة ، وسويد بن أبى كاهل ، وأبى ذؤيب الهذلى ، وعبيد بن الأبرص ، وعنترة وأوس بن مغراء .

ونجد صدى هذه الروايات عند **عبد القادر البغدادى** ، فهو يذكر ، ربما نقلا عن **جلال الدين السيوطى** أن **معاوية بن أبي سفيان** قال : « قصيدة عمرو بن كلثوم ، وقصيدة الحارث بن حلزة ، من مفاخر العرب ، كانتا معلقتين بالكعبة دهرا » . ويروى أيضا أن **عبد الملك بن مروان** طرح شعر أربعة من السبعة الذين اختارهم بدءا ، وأثبت مكانهم شعر أربعة آخرين .

لم تأخذ المعلقات شكلا نهائيا على امتداد زمن طويل ، ولم يستطع اختيار حماد لها ، ووقوفه وراءها ، أن يعطيها الطابع النهائى ، وإنما مرّت بمراحل متعددة ، لتصل إلينا فى صورتها الأخيرة ، وإذا تتبعنا سمات هذا التطور نجد أن هناك شعراء ثلاثة توجد قصائدهم فى كل المجموعات ، وهم : امرؤ القيس ، وزهير بن أبى سلمى ، ولبيد بن أبى ربيعة ، ولعل هؤلاء يؤلفون النواة الأولى ، التى أضيف إليها فيما بعد ، مع الزمن قصائد أخرى ، لدوافع أدبية أو لأسباب سياسية .

فالأصمعى ، المتوفى ٢١٦ هـ = ٨٣١ م ، عرف فى زمنه مجموعة مؤلفة من ست قصائد ، شرحها وسمى شرحه لها « القصائد الست » ، ووصلتنا برواية الأعلم الشنتمرى الأندلسى ، المتوفى ٤٧٦ هـ = ١٠٨٣ م ، وفيها أسقط الأصمعى لبيد بن أبى ربيعة ، وأضاف إليها أربعة آخرين هم : علقمة بن عبدة ، وطرفة بن العبد ، والنابغة الذبيانى ، وعنترة بن شداد ، وهذا المجموع نشره آلورد فى لندن عام ١٨٧٠ م ثم حققه وعلّق عليه ونشره مصطفى السقا فى القاهرة ، وصدر عن مطبعة الحلبى بمصر ، الطبعة الثانية عام ١٩٤٨ .

وعرف أبو عبيده معاصره مجموعة مؤلفة من سبعة ، تُسقط اثنين من مجموعة الأصمعى هما : علقمة بن عبدة ، وعنترة بن شداد ، وتضيف إليها ثلاثة هم : لبيد ابن أبى ربيعة ، والأعشى ، وعمرو بن كلثوم .

وهذه الأسماء السبعة التى عرفها أبو عبيدة هى التى تنسب إلى حماد الراوية ، وقد نقد المفضلُ الضبىُّ حمادًا الراوية فى اقتصاره على سبع ، ولحظ عليه أنه ترك قصيدتى عنترة ، والحارث بن حلزة ، وأضاف بدلا منهما قصيدتى الأعشى والنابغة .

وجاء بعدهم أبو زيد القرشى ، وعاش فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى ، وأضاف إلى السبعة السابقة قصيدة عنترة بن شداد فأصبحوا ثمانية .

وفى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى ، ولأسباب سياسية ألحقت بالمجموعة قصيدة الحارث بن حلزة التى تمجد قبيلة بكر ، لتكون فى مواجهة قصيدة عمرو بن كلثوم التى تمجد قبيلة تغلب ، وكانت المنافسة بين القبيلتين على أشدها فى الجاهلية ، وبقيت آثارها حية حتى بعد الإسلام . وهكذا نجد أبا جعفر النحاس المتوفى عام ٣٣٨ هـ = ٩٥٠ م يضيف قصيدة الحارث إلى مجموعة أبى زيد القرشى ، فيصبح العدد تسعة ، وقد شرح هذه القصائد ، وسمى شرحه لها « شرح القصائد التسع المشهورات » ، وهو شرح وصلنا ، وحققه أحمد خطاب ، ونشرته وزارة الإعلام العراقية فى بغداد عام ١٩٧٣ فى مجلدين . على حين أن معاصره أبا بكر الأنبارى ، المتوفى ٣٢٨هـ = ٩٢٩ م ، آثر أن يبقى على العدد سبعة ، فحذف من مجموعة أبى زيد القرشى كُلًّا من الأعشى والنابغة ، وأضاف بدلا منهما الحارث بن حلزة ، ثم شرح هذه القصائد ، وسمى شرحه لها « شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات » ، وهو كتاب وصلنا ، وقام على تحقيقه

عبد السلام هارون . ونشرته دار المعرف بالقاهرة عام ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٣ م .

فإذا بلغنا نهاية القرن الخامس الهجرى نجد أن أبا زكريا التبريزى ، المتوفى عام ٥٠٢ هـ = ١١٠٩ م ، أضاف إلى العدد السابق عبيدَ بن الأبرص ، فأصبح عدد الشعراء ، أو المعلقات إن شئت . عشرًا ، وقد قام بشرحها فى كتاب أسماه « شرح القصائد العشر » ، ووصلنا وطبع فى مصر أكثر من مرة ، ووقف الأمر عند هذا العدد حتى يومنا هذا .

وقد اختلفوا قليلا حول القصائد نفسها عند شاعرين هما : الأعشى والنابغة ، فمعلقة الأعشى عند الكثرة هى القصيدة التى مطلعها :

ودِّعْ هريرة إنّ الركبَ مُرتحلُ وهل تُطيق وداعًا أيه الرَّجُلُ

وانفرد أبو زيد القرشى بأن جعلها القصيدة التى مطلعها :

مابكاءُ الكبير بالأطلال وسؤالى وماتردُّ سؤالى

ومعلقة النابغة عند أغلب المجموعات ، هى القصيدة التى مطلعها :

يادارَ ميّة بالعلياءِ فالسندِ أقْوَتْ وطال عليها سالفُ الأبَدِ

وجعلها أبو زيد القرشى القصيدة التى مطلعها :

عُوجوا فحيُّوا لنُعْمٍ دِمْنَة الدارِ ماذا تُحيُّونَ من نُؤْىٍ وأحجارِ

رأينا فيما سبق أن هذه القصائد المختارة أخذت أكثر من اسم ، حسب العصور أو الشرّاح ، فهى « المعلقات » أو « القصائد السبع » ، أو « السبع الطوال » ، أو « القصائد التسع المشهورات » ، أو « السبع الطوال الجاهليات » ، أو « القصائد العشر » ، ومن بين كل هذه المسميات فإن اسم « المعلقات » هو الذى أثار كثيرا من الجدل والخلاف ، وصيغت حوله قصة لاتزال حتى يومنا موضع الشك بين العلماء والباحثين .

كان ابن السائب الكلبى المتوفى عام ٢٠٤ هـ = ٨١٩ م ، أول من أشار إلى القصة ، فذكر : أن أول شعر عُلق فى الجاهلية شعر امرئ القيس ، عُلّق على ركن من أركان الكعبة أيام الموسم حتى نُظر إليه ثم أُحدر ، ، فعلقت الشعراء كذلك بعده ، وكان ذلك فخر العرب فى الجاهلية وعدوا من عُلِّق شعره سبعة .

وبعد ذلك بقرن من الزمان نلتقى بالقصة عند شاعر ومؤرخ أندلسى ، هو ابن عبد ربه صاحب كتاب العقد الفريد ، المتوفى عام ٣٢٨ هـ = ٩٣٩ م ، ولم

يكتف بإيراده كما هو عند الكلبى ، وإنما وشاه بالتوابل ، على طريقه الأندلسيين ، فذكر عن الشعر : « حتى لقد بلغ من كلف العرب به ، وتفضيلها له ، أن عمدت إلى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم ، فكتبتها بماء الذهب فى القباطى المدرجة ، وعلقتها بين أستار الكعبة ، فمنه يقال مذهبة امرئ القيس ، ومذهبة زهير ، ولمذهبات السبع ، وقد يقال لها المعلقات » .

وبعد قرن ونصف من الزمان نلتقى بالخبر نفسه ، فى صياغة جديدة ، عند **ابن رشيق** القيروانى ، المتوفى ٤٦٣ هـ = ١٠٧١ م ، فيذكر فى كتابة « العمدة فى صناعة الشعر ونقده » : « وكانت المعلقات تسمى المذهبات ، وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت فى القباطى بماء الذهب وعلقت على الكعبة ، فلذلك يقال مذهبة فلان إذا كانت أجود شعره ، ذكر ذلك غير واحد من العلماء » .

ومن ابن رشيق إلى **ابن خلدون** ، المتوفى ٨٠٨ هـ = ١٤٠٥ م ، وهو تونسى أيضا ، ثم نلتقى بها عند **السيوطى** ، المتوفى ٩١٠ هـ = ١٥٠٥ م ، وهو مصرى ، ومن بعده **البغدادى** ، المتوفى ١٠٩٣ هـ = ١٦٨٢ م ، وكان مقيما بالقاهرة ، فى كتابه « خزانة الأدب » مع مزيد من التفصيل والتعليل .

وأول ما يلفت النظر فى هذا الإسناد أن **الكلبى** أوّل من أشار إلى القصة ، وهو الوحيد بين مؤرخى العرب المشارقة الذى أشار إليها ، وليس بموضع ثقة عند معاصريه ، ولا ممن جاء بعدهم ، فى الكثير مما يرويه ، ولم يشاركه أحد فيما يروى عنه ، لا فى عصره ولا قبله ، ولا من بعده ، لا من شراح القصائد الذين ألمحنا إلى بعضهم فيما مضى ، كالأصمعى وابن الأنبارى والتبريزى وغيرهم ، ولا من كبار الأدباء والعلماء والمؤرخين للأدب كالجاحظ والمبرد وابن سلام وابن قتيبة ، ولا ممن أرخوا لمكة فى جاهليتها وإسلامها ، فهم إما صمتوا صمتا مطلقا ، أونفوا القصة صراحة ، فيذكر النحاس فى خاتمة شرحه ، بعد أن أتى على الأسماء المختلفة : « وأما قول من قال : إنها عُلِّقت فى الكعبة فلا يعرفه أحد من الرواة » .

وأرجِّح أن الاسم كان يتردد منذ القرن الثانى الهجرى ، ولعله كان مقبولا ، وأن رواية ابن الكلبى كانت معروفة ومرفوضة ، أما قصة الكتابة بماء الذهب على القباطى فتفاويه أندلسية ، اخترعوها لتفسير تسمية غامضة لا يعرفونها ، بدل أن

يقولوا « الله أعلم ! » ، وكان الأندلسيون بحكم موقع بلادهم ، فى بعدها عن المشرق ، وطبيعتها ، وتعدد مناخها ، وتنوع جوائحها ، من سيول وأمطار ، ورعود وفيضان ، يميلون إلى الغرائب والعجائب ، ويؤخذون بها ، ويبالغون فى رواياتهم لها ، حتى لو تجاوزت الممكن ، وتجافت الواقع .

وفى عصرنا الحديث كان المستشرقون أول من تعرض للمعلقات نشرا ، أو شرحا ، أو ترجمة ، وقد رفضوا حكاية التعليق ، وقبلوا التسمية ، وحاولوا أن يجدوا لها تعليلا علميا ، وليس ضروريا ، فيما يرون ، أن ترتبط التسمية بالنشأة ، فقد تجىء بعد زمن من الاختيار يقصر أو يطول .

فالمستشرق الألمانى آلورد يرى : أن كلمة المعلقات تشير إلى المكانة العليا التى احتلتها المجموعة بين الشعر الجاهلى ، فى نظر علماء العراق ، أو أنها تعنى تعلُّق البيت بما يليه ، وهذا التفسير الأخير واهن ، لأنه ينطبق على قصائد أخرى كثيرة ، كانت معاصرة للمعلقات ، فلماذا خُصّت بالتسمية من دونها .

ويعتقد فون كريمر أنها مشتقّة من علَّق ، أى كتب ، لأن هذه القصائد ظلت تنتقل عن طريق الرواية الشفوية ، ثم انتهى بها الأمر إلى التدوين ، وهو تعليل يرد عليه أن استعمال الفعل « علّق » بمعنى « دوّن » متأخر ، وكان مقصورا فى العصور الوسطى على أوساط النسّاخ .

وربما كان تفسير الألمانى نولدكه ، لمتوفى عام ١٩٣١ م ، أقرب إلى المعقول ، فهو يرى أن العرب يستعملون كلمة « عِلْق » ، بمعنى « عِقْد » ، أى « سِمْط » ، عنوانا لكتبهم ، وهو ما جرى للمعلقات ، ويلحظ أنها سميت بالسموط أيضا . وقريب منه تفسير المستشرق الإنجليزى ليال ، فهو يرى أن المعلّقات مأخوذة من « العلق » ، وهو ما يضن به من الأشياء والحلى والثياب . ويدعم كلا لرأيين أن ابن رستة ، وهو جغرافىّ عربى من القرن الثالث الهجرى سمّى كتابه فى الجغرافيا : « الأعلاق النفيسة » ، ومعنى المعلّقات إذن عقود من أحجار كريمة تُعلَّق .

ومهما يكن الأمر ، فقد فرضت لتسمية نفسها ، وبها عُرفت مجموعة من القصائد العربية ، يختلف الناس فى عددها على نحو ما رأينا ، وشاعت على نحو

جعل منها واقعاً ، لا صلة له على أية حال بالتسمية الأولى ، أو ماكان وراءها من دوافع وأسباب .

حظيت المعلقات بأكبر قسط من الشروح والتعليقات والترجمة ، جملة أو مفردة . وحتى يومنا ، وضاع عدد من الشروح فلا حاجة بنا إلى ذكره هنا ، ولا يعدو بعضها الآخر أن يكون تلخيصا لما سبق أو تعليقا عليه ، وسنكتفى فقط بالشروح الرئيسية ، إلى جانب تلك التى أشرنا إليها فيما قبل :

● شرح **أبى سعيد الضرير الجرجانى** ، والراجح أنه **أحمد بن خالد** المتوفى عام ٢٨٢ هـ = ٨٩٥ م ، ولايزال مخطوطاً ، وتوجد مصوّرته بدار الكتب المصرية ، عن الأصل الموجود فى مكتبة باريس ، وهو فى ١٧٨ ورقة ، وتم نسخه بين عامى ٦١٠ هـ و ٦١٦ هـ .

● شرح **الحسين بن أحمد الزوزنى** ، المتوفى ٤٨٦ هـ = ١٠٩٣ م ، وهو أكثر الشروح رواجا ، رغم أن جل اهتمامه موجه إلى النحو والإعراب وتفسير المفردات ، وطبع على الحجر لأول مرة فى اسطنبول عام ١٢٧٧ هـ ، وفى العام نفسه طبع فى القاهرة ، ثم توالت طبعاته بعدها فيها ، أو فى الإسكندرية ، وطبع فى طهران عام ١٢٨٢ هـ ، وفى دلهى بالهند عام ١٨٩٥ م ، ثم حققه على حمد الله فى دمشق عام ١٩٦٣ م .

● « كتاب إمتاع البصر ، والقلب والسمع ، فى شرح المعلّقات السبع » ، تأليف **محمد بن على بن فضل الطبرى** ، وألفه بين عامى ١١٥٥ و ١١٥٧ هـ = ١٧٤٢ و ١٧٤٤ م ، وهو فى ٢٦٨ ورقة بخط المؤلف نفسه ، ويوجد فى مجموعة جاريت Garrett التى تملكها جامعة برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية .

وقد تُرجمت المعلقات جملة ، أو بعضها ، أو آحاد منها ، إلى العديد من اللغات الأجنبية ، من بينها : اللاتينية والألمانية والإنجليزية والفرنسية والإسبانية والإيطالية والروسية والسويدية ، والتركية ، والفارسية ، والهندوستانية ، وفى بعضها تُرجمت أكثر من مرة .

○ **المفضَّليات :**

تجيء تاريخيا بعد المعلقات ، وكان اسمها فى البدء « كتاب الاختيارات » ، ثم اشتهرت فيما بعد باسم « المفضليات » ، نسبة إلى جامعها ، أو من أضفى عليها الطابع النهائى إذا شئنا الدقة ، وهو **المفضل الضبى** ، المتوفى عام ١٦٤ هـ = ٧٨٠ م .

تعود النواة الأولى لمجموعة « المفضليات » ، كما يذكر المفضل الضبى نفسه ، إلى الإمام **إبراهيم بن عبد الله بن الحسن** ، الملقب بالنفس الزكية ، المتوفى عام ١٤٥ هـ = ٧٦٢ م ، وكان ثائرا على الخلافة العباسية ، فقد ذكر أبو الفرج الأصفهانى فى كتابه « مقاتل الطالبيين » ، قول المفضل الضبى : « كان إبراهيم بن عبد الله بن الحسن متواريا عندى ، فكنت أخرج وأتردد ، فقال : إنك إذا خرجت ضاق صدرى ، فأخرج لى شيئا من كتبك أتفرّج به فأخرجت إليه كتبا من الشعر ، فاختار منها السبعين قصيدة التى صدّرت بها « اختيار الشعراء » ، ثم أتممت عليها باقى الكتاب » .

ورغم أن **المفضّل الضبّى** انضم إلى العلويين ، وقاتل مع إبراهيم النفس الزكية ضد العباسيين ، إلّا أن **الخليفة المنصور** عفا عنه بعد أن انتصر على العلويين ، واختاره مؤدبا لابنه **محمد المهدى** ، وهو الذى سوف يتولى الخلافة بعد أبيه عام ١٥٨ هـ = ٧٧٤ م . ويروى أبو على القالى فى كتابه الأمالى ، أن أبا جعفر المنصور مرّ بالمهدى وهو ينشد أستاذه المفضل قصيدة الشاعر الجاهلى المسيَّب بن عَلَس ، والتى شُهرت باسم « المنصفة » ، ومطلعها :

أرحلتَ من سلمى بغير متاع قيل العطاس ورعتها بوداع

فلم يزل واقفا من حيث لا يشعر به ، حتى استوفى سماعها ، ثم صار إلى مجلس له وأمر بإحضارهما . فحدّث الفضل بوقوفه واستماعه لقصيدة المسيَّب واستحسانه إياها ، وقال له : لو عمدت إلى أشعار المقلين ، واخترت لفتاك لكل شاعر أجود ما قال ، لكان ذلك صوابا . ففعل المفضل كذلك .

أغلب الظن أن **المفضل** لم يكن يهدف إلى تأليف مجموعة نهائية لا سبيل إلى التبديل فيها ، وإنما كان بصدد مختارات يغلب عليها الطابع التعليمى والتثقيفى ،

استجادها لنفسه ، أو لتلميذه ، وظلت تنتقل عن طريق الرواية الشفوية زمنا ، أوضحها رواية ابن الأعرابى ، حفيد المفضل ، ويبلغ فيها عدد القصائد ١٢٨ ، وقام ابن الأنبارى بشرحها بعد أن ترك قصيدتين .

وثمة رواية ترى بأن المفضل اختار ٨٠ قصيدة فقط ، وأن الأصمعى أضاف إليها غيره ، وقد بحث المستشرق الإنجليزى ليال القضية ، حين نشر المفضليات محققة ، مع ترجمة إنجليزية ، فى جزأين وثالث يضم الفهارس ، عام ١٩١٨ - ١٩٢٤ م ، ورأى استحالة إيجاد حل حاسم للقضية ، لكنه عد هذه الرواية غير جديرة بالتصديق ، على حين ارتضاها محققا الطبعة القاهرية ، الأستاذان : أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، فذهبا إلى أن ثمانين قصيدة فقط من اختيار المفضل ، أما البقية فمن إضافة الأصمعى .

تتكون « المفضليات » من مقطوعات شعرية ، وأحيانا قصائد كاملة ، ويمكن تحديد زمن أصحاب القصائد الذين ينسبون إلى قبائل بدوية فى أواسط الجزيرة العربية وشرقيها بين أعوام ٥٥٠ و ٦٥٠ م إجمالاً . وقد أضيفت إليها أربعة قصائد أخرى وُجدت فى بعض المخطوطات ، وهى موزعة على ٦٧ شاعرا ، منهم ٤٧ شاعرا جاهليا ، بينهم المرقّشان الأكبر والأصغر ، وهما من أقدم الشعراء المعروفين ، ونصرانيان هما : جابر بن حنىّ التغلبى وعبد المسيح بن عَسَلة ، ويهودى واحد ، وأربعة عشر شاعرا مخضرما ، من الذين وُلدوا فى الجاهلية وأدركوا الإسلام ، وستة من الإسلاميين . وتكاد تغطى هذه المجموعة كل جوانب الحياة فى العصر الجاهلى : علاقات القبائل بعضها مع بعض ، ومع ملوك الحيرة والغساسنة ، وفيها ألفاظ لم ترد فى المعاجم اللغوية ، وأكثر شواهد العربية فى النحو والصرف والبلاغة والغريب مستمد مما بها من شعر .

ويمكن القول إجمالاً إنها مجموعة نادرة ، تفوق ما أورده ابن سلام ، أو ابن قتيبة ، أو أبو زيد القرشى من شعر ، وتمثل على نحو لا بأس به اتجاهات الشعر العربى منذ الجاهلية حتى منتصف القرن الأول الهجرى .

لدينا من شروح المفضليات التى وصلتنا ، وقام بها جلة من العلماء مايلى :

● شرح أبو القاسم بن محمد الأنبارى ، المتوفى عام ٣٠٥ هـ = ٩١٨ م ، ورواه عنه ولده أبو بكر ، ومن العلماء من ينسب الشرح إلى الابن نفسه ، وقد

نشرها المستشرق الإنجليزى **ليال** كاملة ، فى طبعة نقدية مثالية ، مع ترجمة إنجليزية وفهارس ، فى ثلاثة أجزاء ، وقامت بها م طبعة الآباء اليسوعيين فى بيروت عام ١٩١٨ - ١٩٢٤ ، على نفقة جامعة أكسفورد ، ثم أعاد الأستاذان : أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون نشرها فى طبعة علمية محققة ، ومشروحة ، ومضبوطة ، مع تعريف موجز بشعرائه ، وبالظروف التى أنشدوا فيها قصائدهم ، وصدرت الطبعة الأولى منها عن دار المعارف بالقاهرة فى جزأين عام ١٢٦١ هـ = ١٩٤٢ ، ويمكن القول إنها أدق طبعات المفضليات وأكملها حتى الآن .

● شرح المرزوقى أبى على أحمد بن محمد ، المتوفى ٤٢١ هـ = ١٠٣٠ م ، ولا يزال مخطوطا ، وتوجد نسخة من مخطوطته فى مكتبة برلين فى ٥٦٠ ورقة ، تحت رقم ٧٤٤٦ ، ومنه مصورة بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية .

● شرح التبريزى ، أبو زكريا يحيى بن على بن الخطيب ، المتوفى ٥٠٢ هـ = ١١٠٩ م ، وكانت منه نسخة بخط المؤلف فى مكتبة تونس الوطنية ، ولكنها تُعد الآن ضائعة ، ولحسن الحظ فإذا دار الكتب المصرية بالقاهرة تملك مصورة لها ، وقد حقق الشرح فخر الدين قباوة ، ونال به درجة الدكتوراه فى الآداب من جامعة القاهرة ونشره فى مجلدين فى دمشق عام ١٩٦٨ - ١٩٧١ م .

أمّا أقدم طبعة للمفضليات فقام بها المستشرق الألمانى **توربكه** حين نشر الجزء الأول منها فقط فى ليبزج عام ١٨٨٥ ، ثم طُبعت كاملة ، بشرح ابن الأنبارى فى اسطنبول عام ١٣٠٨ = ١٨٩٠ م ، ثم طبعها فى مصر ، فى جزأين ، مع تعليق موجز ، **أبو بكر بن عمر داغستانى** عام ١٣٢٤ هـ = ١٩٠٦ م كما طبعها **حسن السندوبى** فى القاهرة عام ١٩٢٦ م .

○ الأصمعيات :

نسبة إلى الأصمعى ، وتأتى فى المرتبة الثالثة بعد حماد الراوية والمفضل الضبى ، وتتألف من ٩٢ قصيدة ومقطوعة ، لواحد وسبعين شاعرا ، منهم ٤٤ شاعرا جاهليا ، و ١٤ مخضرما ، و ٦ إسلاميين ، و ٧ مجهولين ، لا نعرف أسماءهم فى مصادر أخرى ، وعددأبياتها ١٤٣٩ بيتا ، والقصائد فيها أكثر عددا من المقطّعات . وفيها يتجلى مزاج الأصمعى نحويا ولغويا ، إذ يغلب عنده هذا الجانب على الناحية

الأدبية ، ومن ثم فهى تعكس عقلية عالم لغوى يدرس الشعر الجاهلى ، وتعتبر إلى حد ما تكملة للمفضليات ، واحتذى الأصمعى بالمفضل فى إيثار الشعراء المقلين ، ويقال أيضا أنه اختارها لهارون الرشيد ، وهناك قصائد توجد فى كلتا المجموعتين ، وأحيانا كان المثقفون فى زمن أبى عبيدة يوازنون بينها حين يختلفان رأيا فى قصيدة وردت فى مجموعيهما .

جاء الأصمعى بهذه المختارات مجرّدة من الأخبار والشروح والتعليقات ، إلّا فى حالات نادرة ، فنجده – مثلا – فى الأصمعية الأولى للشاعر سُحيْم بن وثيل الرياحى ، والتى مطلعها :

أنا بنُ جلَا وطلَّاعُ الثنايا متى أضعُ العمامةَ تعرفونى

يخبرنا بالسبب الذى دفع بسحيم إلى إنشاد قصيدته هذه ، ويفسر بعض كلماتها الصعبة ، ويشرح بعض أبياتها .

ويبدو أن الأصمعى خضع فى اختياره لذوقه فحسب ، وفى أحسن الحالات لذوق طبقة معينة من الأدباء على أيامه ، لأنه لا يسير فى انتخابه الشعر على منهج معيّن ، فلا يقف به على شعراء عصر بعينه ، ولم يقسم شعراءه إلى طبقات ، ولا قصائده إلى أغراض أو أبواب ، وإنما جاءت اختياراته خليطا من القصائد والمقطعات ، وقد يورد لشاعر قصيدة كاملة ، أو يكتفى منه بمقطوعة من بيتين أو ثلاثة ، أو يجمع له بينها ، أو يورد له أكثر من قصيدة ومن مقطوعة ، وجل شعراء الأصمعيات ينتسبون فى مضر ، مما يفسح المجال للظن بأن الأصمعى كان متعصبا لبنى جلدته ، إذ أن نسبه ينتهى به إلى قيس بن عيلان بن مضر .

والأصمعيات كالمفضليات ، وإن يكن على نحو أقل ، تُلقى ضوءا كاشفا على حياة العرب فى الجاهلية ، بيئاتهم ، وأيامهم ، والعلاقات بين مختلف قبائلهم ، وتقدم نماذج لكل أغراض شعرهم ، من الوقوف بالأطلال ، والغزل ، والرثاء ، والمديح ، والوصف ، والهجاء .

ولم تجد الأصمعيات على الرغم من مكانة الأصمعى قبولا حسنا أو انتشارا واسعاً ، كالمفضليات ، وأدى ذلك إلى تفسيرات مختلفة لدى الباحثين ، فابن النديم فى كتابه الفهرست يرد ذلك إلى قلة اشتمالها على غريب اللغة ، ولأن الأصمعى عمد فيها إلى اختصار الرواية ، واكتفى فى كثير من القصائد بمختارات منها ولم

يروها كاملة . والأقرب أن ذلك يرجع إلى أن شعراءها لم يكونوا أصحاب أسماء لامعة ، ولم تكن حوادث حياتهم معروفة مشهورة ، ولم يكن الشعر نفسه عميق المحتوى .

الشرح الوحيد الذى نعرفه للأصمعيات قام به ابن الأنبارى ، والوحيد الذى أشار إليه بروكلمان فى كتابه تاريخ الأدب العربى ، جـ ص ٧٥ ، يذكر أن مخطوطته توجد فى مكتبة أيا صوفيا فى اسطنبول ، تحت رقم ٤٠٩٩ ، ولكنه لم يقدم أية معلومات أخرى عنها .

وقد نشر آلورد كتاب « الأصمعيات » مع قصائد أخرى فى برلين عام ١٩٠٢ ، وذلك للمرة الأولى ، وفيما بعد قام الأستاذان أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون بتحقيقها وشرحها على نحو علمى جيد ، فعرّفا بكل شاعر تعريفا موجزا ، وأتيا على جو القصيدة ، والغرض الذى قيلت فيه ، أو الحادث الذى أُنشدت بسببه ، وألحقا بالكتاب مجموعة من الفهارس الدقيقة المتنوعة ، للشعراء والقبائل والأعلام ، واللغة ، والقوافى ، والأوصاف ، والتشبيهات ، والمعانى العامة ، والطوائف ، والبلدان والمواضع ، وغيرها . وصدرت الطبعة الأولى منه عن دار المعارف فى القاهرة عام ١٩٥٥ ، ثم توالت طبعاتها بعد ذلك .

○ جمهرة أشعار العرب :

مجموعة من القصائد تبلغ تسعا وأربعين ، وعنوانها كاملا : « جمهرة أشعار العرب فى الجاهلية والإسلام ، الذين نزل القرآن بألسنتهم ، واشتُقّت العربية من ألفاظهم ، واتخذت الشواهد من معانى القرآن وغريب الحديث من شعارهم ، وأسندت الحكمة والآداب إليهم » ، وهى مقسمة إلى سبعة أقسام ، فى كل قسم سبع قصائد ، وكل قسم يحمل عنوانا : المعلقات السبع التى يسميها العرب السموط ، والمجمهرات ، والمذهبات ، وعيون المراثى ، والمشوبات ، أى القصائد التى يختلط فيها فكر الجاهلية بفكر الإسلام ، والملحمات ، وتشمل هذه الأخيرة قصائد : الفرزدق وجرير والأخطل ، وعبيد الراعى ، وذى الرمة . والكميت والطرمّاح .

وتغلب فى كل الأقسام ، ماعدا الأخير منها ، قصائد الجاهليين ، أما فى القسم

السابع فقد اقتصر على شعراء من العصر الأموى ، وباستثناء مجموعة المعلقات ، أو المسمطات ، ومجموعة المراثى ، فإن هذا التصنيف لم تعرفه العربية من قبل .

وتسبق المختارات خطبة حدّد فيها الجامع الشعراء الذين انتخب قصائده من بين إنتاجهم وأنهم « فحول الشعراء الذين خاضوا بحره ، وبَعُد فيه شأوهم ، واتخذوا له ديوانا كثرت فيه الفوائد عنهم ، ولولا أن الكلام مشترك لكانوا قد حازوه دون غيرهم ... ونحن ذاكرون فى كتابنا هذا ما جاءت به الأخبار المنقولة ، والأشعار لمحفوظة عنهم ، وما وافق القرآن من ألفاظهم ، وما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعر والشعراء ، وما جاء عن أصحابه والتابعين مِن بعدهم ، وما وصف به كل واحد منهم » .

ويمضى فيعرض لجملة من قضايا النقد ، هى فى جملتها نقل مباشر من كتاب مجاز القرآن لأبى عبيدة ، فيتحدث عما جاء فى القرآن الكريم وكلام العرب فى اللفظ المختلف ، ومجاز المعانى ، واختلاف الناس فى الشعراء وأيهم أشعر وأذكى ، وأخبار شعراء الجن ، ويوازن بين آراء الذين قدّموا زهير بن أبى سلمى على امرئ القيس ، والذين قدّموا النابغة الذبيانى ، وشيئا من أخبار بعض شعراء الجاهلية ، كأعشى بكر ، ولبيد بن أبى ربيعة ، وعمرو بن كلثوم ، وطرفة بن العبد .

ويعنى الجامع خلال عرضه بالجانب اللغوى ، ويلقى بمجموعة من الأحكام النقدية المرسلة ، كقوله : « إن الناس أجمعوا على أن أشعر أهل الإسلام الفرزدق وجرير والأخطل ، وذلك لأنهم أعطوا خطا فى الشعر لم يعطه أحد فى الإسلام » .

وقد اختُلِفَ فى جامع « جمهرة أشعار العرب » ، وفى العصر الذى عاش فيه ، ولمّا كان الكتاب معروفا لابن رشيق القيروانى ، المتوفى ٤٥٦ هـ = ١٠٦٤ م ، فمن المرجح أن تأليفه تم فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى ، ويرجحون أن جامعه أبو زيد محمد بن الخطاب القرشى ، ولو أن مخطوطة الكتاب التى فى مكتبة كوبريلى فى استنبول ، تحمل اسم محمد بن أيوب العزيزى ، ثم العمرى ، ولكن ابن رشيق ، وهو أقدم تاريخا من نسخ المخطوطة الذى يعود إلى عام ٦٨٣ هـ = ١٢٨٤ م ، لا يتردد فى نسبتها إلى أبى زيد القرشى ، وكذلك فعل جلال السيوطى من بعد .

ولا نعرف شيئا عن **أبي زيد** هذا ، ولا عن **المفضل** الذى يروى عنه ، ويرد فى « الجمهرة » مجردا عن الكنية ، وقد ألقى بروكلمان فى كتابه « تاريخ الأدب العربى » باحتمال يصعب ترجيحه ، فذكر أن التسمية موضوعة فيما يبدو على اسمى كل من **أبي زيد الأنصارى** النحوى المشهور ، المتوفى ٢١٤ هـ= ٨٣٠ م ، و**المفضل الضبى** ، المتوفى ١٦٤ هـ = ٧٨٠ هـ ، شيخ أبى زيد ، وهو احتمال مستبعد ، لأن أول إشارة للكتاب نلتقى بها عند **ابن رشيق** ، مما يرجح أن تأليفه جاء فى عصر تالٍ لأيامهما ، ولا يمكن أن نذهب به إلى أبعد من نهاية القرن الثالث وبداية الرابع الهجرى ، كما أومأنا من قبل .

وقد ورد اسم **المفضل** مرة كاملا : المفضل بن محمد الضبى ، وهو خطأ من الناسخ دون ريب ، وورد مرة أخرى : أبو عبد الله المفضل بن عبد الله المحيرى ، ورأى **بلاشير** أنها يمكن أن تكون الخبرى ، وأورد **بروكلمان** رواية لم يسندها إلى أحد : « قيل إنه كان فى المرتبة السادسة من سلالة الخليفة : **عمر بن الخطاب** » ، والتقط فؤاد سزكين الرواية ، فى كتابه « تاريخ التراث العربي » ، وزعم أن الاسم كاملا : أبو عبد الله المفضل بن عبد الله بن محمد بن المجبر بن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب ، وردنا إلى « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم ، وحين عدت إليها فلم أجد فيها هذه السلسلة ، وليس بين خَلَف عمر بن الخطاب من يُسمَّى **الفضل** ، وهكذا عدنا حيث ابتدأنا : من هو أبو زيد القرشى ؟ ، حتى يومنا هذا يقينا لا أحد يدرى ! .

طبعت جمهرة أشعار العرب لأول مرة فى بيروت عام ١٨٦٢ م ، بعنو ن « تزيين الأرب فى أدب العرب » ، وطبعت ثانية بلا شرح بعنوان « نيل الأرب فى فضائل العرب » ، عام ١٨٩٥ م ، واعتمدت على أصل غير الذى اعتمدت عليه الطبعة الأولى .

ونشرها كاملة فى القاهرة ، للمرة الأولى ، **سعيد أنطون عمون** ، وطبعها فى مطبعة بولاق عام ١٣٠٨ هـ = ١٨٩٠ م ، وقدم لها فى صفحة واحدة ويبدو أن سفير السويد والنرويج فى القاهرة فى ذلك الوقت هو الذى أمده بالمخطوطة ، لأنه يتقدم بالطبعة إلى « **الكونت كارلو دى لاندبرج** ، الوكيل السياسى لدولة أسوج ونرويج فى الديار المصرية ، أن يجود عليه مما ادخره من كل كتاب لا يقدّر

قدره » . ثم طبعتها ثانية المكتبة التجارية فى القاهرة ، وعهدت بضبطها إلى أحد أفاضل العلماء ، عام ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٦ م .

وفائد الجمهرة محدودة ، وقيمتها التاريخية متواضعة ، ولكنها مفيدة لمعرفة المثل الأعلى لشعر عند بعض الأوساط الأدبية فى العصر الذى أُلفت فيه .

○ **مختارات ابن الشجرى :**

جمعها أبو السعادات هبة الله بن على ، ويُعرف بابن الشجرى ، المتوفى ٥٤٢ هـ = ١١٤٧ م ، وهو من الأشراف ، وكان نقيب الطالبيين بكرخ بغداد ، والشجرى نسبة إلى شجرة ، قرية من أعمال المدينة المنوّرة . وكان إماماً فى النحو واللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها ، متضلعا فى الأدب ، وله فيه : الأمالى ، وهو أكبر تآليفه ، والحماسة ، وحاول أن يضاهى بها حماسة أبى تمام ، والمختارات ، وهى موضع تعريفنا الآن .

جاءت مختارات ابن الشجرى فى ثلاثة أقسام ، تضم أربعة عشر شاعرا ، وخمسين قصيدة ، وبعض المقطوعات ، وقليلا من أخبار الشعراء ، وتتفاوت الأقسام فيما بينها تفاوتا شديدا .

القسم الأول : أورد فيه عشرة من الشعراء هم : لقيط بن يعمر الإيادى ، وقعنب بن أم صاحب ، وعامر بن الحارث المعروف بأعشى باهلة ، وحاتم بن عبد الله الطائى ، وبشامة بن عمرو ، والنمر بن تولب ، وعمر بن مالك المعروف بالشنفرى ، وكعب بن سعد الغنوى ، والمتلمس ، وطرفة بن العبد ، وأتى لكل شاعر منهم بقصيدة واحدة ، ماعدا المتلمس وطرفة ، فقد خصّ كلا منهما بقصيدتين

وهو يأتى بالقصائد دون مقدمة أو تمهيد ، أو تعريف بالشاعر ، أو بمناسبة القصيدة ، أو توضيح المعانى الصعبة ، إلا فى حالات قليلة ، وبطريقة عارضة ، مثلا : قدّم لقصيدة **لقيط بن يعمر** بأنه كتبها لينذر قومه غزو كسرى إياهم ، وكان يعمل فى ديوانه كاتبا ، فأدت هذه القصيدة إلى قتله[1] ، واكتفى عند قصيدة **أعشى**

---

(١) تعد القصيدة من روائع الشعر العربى حقا ، ويعمر تذكر فى المصادر الأخرى « معمر » ، وقد درسنا حياة لقيط ، ، ره فى بداية الشعر الجاهلى ، وحللنا هذه القصيدة فى كتابنا : امرؤ القيس ، حياته وشعره ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٥ .

باهلة بأن يقول إنها فى رثاء أخيه المنتشر بن وهب الباهلى ، ولم يزد على ذلك كلمة ، وعرّف بنسب **حبيب الطائى** قبل أن يورد قصيدته ، وقدّم لقصيدة **كعب الغنوى** بأنها فى رثاء أخيه الذى قُتل « يوم ذى قار » ، ولقصيدتى **المتمس** بأن الأولى ينسب فيها نفسه لأعدائه ، وأنه قال الثانية حين هرب من **عمرو بن هند** إلى الشام .

يثير إختيار المؤلف ، وترتيب الشعراء ، فى هذا القسم عددا من الأسئلة : لم وقف بهم عند هذا العدد ؟ وفى ضوء أى منهج رتّب شعراءه ؟ هل كانت تحكمه قواعد نقدية ، أو تاريخية ، أو فنية ؟ . إن أيًّا من هذه الأمثلة لا يحرى بإجابة شافية ، فهو لم يقصد جانب الأفضلية والتقدم فى ترتيبه ، لأن طرفة من شعراء الطبقة الأولى وجاء به فى آخر القائمة . **والشنفرى** من شعراء الطبقة الثانية وجاء ترتيبه السابع ، ولم يراع أيضا الترتيب الزمنى ، لأن جميع الشعراء جاهليون ماعدا **قعنب بن أم صاحب** فهو أموى ، ومع ذلك جاء ترتيبه الثانى ، وليس بحسب أغراض الشعر لأنها اختلفت من شاعر لآخر ، وشملت الهجاء ، والفخر ، والرثاء ، وليس بينها رابط ، ولا تحكمها قاعدة .

ومن الصعب أيضا أن نحكم لماذا اختار لهم هذه القصائد دون غيرها وقصارى ما يمكن أن نقوله ، والاختيار يخضع لذوق المختار دائما ، أنه أخذ من كل شاعر خير ما عنده فيما يرى ، وأكثر قصائده ذيوعاً وشهرة ، فجاء للقيط بالقصيدة التى تسببت فى قتله وأودت بحياته ، ولأعشى باهلة بأشهر شعره ، وهى قصيدته التى رثى بها أخاه ، وللشنفرى بلاميته الذائعة ، ودخلت التاريخ تحت اسم « لامية العرب » ، ولكعب الغنوى ببائيته الذائعة فى رثاء أخيه ، وللمتلمس بقصيدته التى أنشدها حين هرب من عمرو بن كلثوم .

وإذا كان القسم الأول قد اتسم إجمالاً بالقصيدة الواحدة للشاعر الواحد ، فإن **القسم الثانى** جاء على النقيض منه ، فقد تعدّدت القصائد للشاعر الواحد ، ويضم هذا القسم ثلاثة شعراء هم : زهير بن أبى سُلمى ، وبشر بن أبى حازم ، وعبيد بن الأبرص ، أتى لكل واحد منهم بأكثر من قصيدة ، وكالعادة لم يوضح فى الأعم الأغلب المناسبة التى قيلت فيها القصيدة ، أو يعين على فهم الإشارات الواردة بها . ويرد على الخاطر : هؤلاء الشعراء الثلاثة جاهليون ، فلماذا فصلهم

عن القسم لأول وجعلهم قسما مستقلا ؟ ولماذا خصّهم بأكبر قدر من القصائد ؟ .

كان نصيب **زهير** بن أبى سلمى سبع قصائد ، تضم أربعة وسبعين ومئة بيت ، الأربع الأولى منها والأخيرة فى مدح **هرم بن سنان** . **ويذكر فى الخامسة النعمان بن المنذر** ، وقال السادسة فى **سنان بن أبى حارثة** و **الحارث بن عوف** المرّيين .

واختار من شعر **بشر بن خزام** ست قصائد ، تضم تسعة وعشرين ومئة بيت ، الأولى والثانية فى هجاء **أوس بن حارثة** ، والرابعة فى مدحه ، والثالثة فى الفخر ، والسادسة وصية الشاعر قالها وهو يواجه الموت ، ولم يذكر للقصيدة الخامسة مناسبة .

وخصّ **عبيد بن الأبرص** بأكبر قدر من الشعر ، فجاء له باثنتى عشرة قصيدة ، فى ست وعشرين ومئتى بيت ، ولم يعرض لمناسبة أىٍّ من هذه القصائد ، باستثناء الأولى والثانثة فذكر بأن الشاعر توجه بهما لامرئ القيس يذكره بقتل أبيه[1] .

ونلحظ أن المؤلف فى القسم الأول كان يكتفى عند الحديث عن شعرائه بقوله : « قصيدة فلان » ، أما فى القسم الثانى فاستخدم عبارة « أخبار فلان » ، ومع ذلك لم يأت لنا من أخبار **زهير** بشىء يذكر ، واكتفى عن أخبار **بشر** بن أبى خازم بصفحة واحدة ، ولكنه أفاض كثيرا فى أخبار **عبيد بن الأبرص** .

وفى القسم الثانى ركز على قصائد **زهير** التى مدح فيها **هرماً** ، وأباه **سنانا** ، وابن عمه **الحارث بن عوف** ، وهى من روائع شعره ، ويراها النقاد قديما المثل الأعلى فى المدح ، وكان يحببها إلى العرب دائما أنها تدور حول الدور الذى قام به الرجلان الممدوحان هرمٌ والحارث فى إنهاء الحرب بين قبيلتى عبس وذبيان ، المعروفة بحرب داحس والغبراء ، فأصلحا بين القبيلتين ، وتحملا دماء القتلى ، ودفعا دياتهم من حرّ مالهما .

كانت هذه الحرب مريعة ، وتركت أثناء اشتعالها ، وبعد انتهائها ، صدى قويا فى أعماق عرب الجاهلية وحياتهم ، وصيغت حولها الحكايات والقصص ، تفسر ما غمض من وقائعها ، وتقدم ما ضاع من أسبابها ، وأسهمت المرأة العربية بدور

---

(١) راجع القصه كاملة ، والحوار بين الشاعرين ، والصراع بين بنى أسد وامرئ القيس فى كتابنا : امرؤ القيس حياته وشعره ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٥ .

قوى فى إنهائها ، وتقول قصة يرويها الأغانى إن **الحارث بن عوف** تزوج من بهيسة ابنة **أوس بن حارثة** ، فأبت أن تمكنه من نفسها حتى يسعى بالصلح بين القبيلتين . وهذه القصة قد تكون صحيحة ، وقد تكون مصنوعة ، ولكن دلالتها فى الحالتين باقية وواضحة ، وهى ضيق الناس بالحرب والخلاف ، ورغبتهم فى السلام والوئام ، ولا غرو إذن أن نجد صدى ذلك كله فى مختارات تصنع بعد لأحداث بما يقرب من ست مئة عام .

واختار من شعر **بشر بن أبى خازم** قصيدتين ، إحداهما فى هجاء **أوس بن حارثة الطائى** ، والأخرى فى مدحه ، ومع أنهما من روائع شعره ، ولكنهما تشيان فى الوقت نفسه بموقف الشاعر وتبدّله ، واختار من شعر **عبيد بن الأبرص** القصائد التى واجه بها شاعرُ بنى أسد امرأ القيس فى صدامه معهم ، ومطالبتهم إياهم بثأر أبيه حجر الذى قتلوه ، ومحاولته أن يسترد ملكه عليهم ، وهى أحداث شغلت من التاريخ العربى فى الجاهلية مكانا متميزا .

أما **القسم الثالث** والأخير فأوقفه المؤلف على **الحُطَيئة** وحده ، أخبره وشعره ، وهو أشبه بأن يكون ديوانا له ، فلم يشرك معه غيره ، رغم أن صفحاته لا تقل عن صفحات أىٍّ من القسمين السابقين ، وأورد له من شعره مختارات كثيرة ، فى مناسبات مختلفة ، ما بين قصائد ومقطوعات ، وقدم لها أحيانا ببعض الأخبار والحكايات عنه ، وهو يسهب فى بعض المواطن إسهابا شديدا ، وفى بعضها الآخر يكتفى بجملة : « قال الحطيئة » .

ومن الواضح أنه ركز على « هجاء » الحطيئة ، لأنه الجانب الواضح من شعره ، اشتهر به ، واتخذوا منه مثلا ، وخافه الناس . ولكن لماذا كان الحطيئة وحده ، ولماذا كان له كل هذا الشعر دون بقية رفاقه ؟ سؤال ليس بين يدى ما يعين فى الإجابة عنه .

طُبعت مختارات ابن الشجرى باسم « ديوان مختارات شعراء العرب » على الحجر ، لأول مرة فى القاهرة عام ١٣٠٦ هـ = ١٨٨٨ م ، وأعاد محمد أحمد الزناتى طبعها ثانية فى القاهرة عام ١٣٤٤ هـ = ١٩٢٥ م ، بعنوان « مختارات شعراء العرب » ، بعد أن تبين له أن الطبعة الأولى من الديوان : « لعبت به يد ناسخه ، ومسخته جهالة طابعه » ، واعتمد فى نشره على المخطوطة الموجودة بدار

الكتب المصرية . ولست أعرف له مخطوطة أخرى إلا واحدة كانت مجهولة ، وتوجد الآن فى مجموعة جاريت ، فى ٥٢ ورقة ، ونسخت ١٣٠٦ هـ = ١٨٨٨ م ، وتملكها جامعة برنستون فى الولايات المتحدة .

○ الحماسة :

مع تطور الذوق ، وارتقاء الحضارة ، لم يعد أحد يطيق الصبر على القصائد الطوال ، فجنح الناس إلى التذوّق ، وقدّم لهم الأدباء ما يريحهم ويرضيهم ، وظهرت اختيارات كثيرة مرتبة حسب أغراض الشعر ومعانيه لتلبى هذه الحاجات . وأقدم هذه المختارات ما جمعه أبو تمام الشاعر ، المتوفى عام ٢٣١ هـ = ٨٤٦ م .

اسمه حبيب بن أوس الطائى ، فهو ينتسب فى قبيلة طيئ كما نرى ، وزعم غير واحد من المؤرخين أن نسبه هذا غير صحيح ، وأن أباه كان نصرانيا يدعى تدوس العناقيرى ، وصوابه تيودوس ، وهو لفظ يونانى ، وأنه كان يبيع الخمر فى دمشق ، ولا يستبعد على أية حال أن يكون من نصارى طيئ ، فقد كانت النصرانية قبل الإسلام وبعده شائعة فى قبائل تنوخ وقضاعة وطيئ ، لأن مساكنهم كانت تجاور الحيرة .

وُلد أبو تمام عام ١٩٢ هـ = ٨٠٧ م ، فى قرية جاسم بناحية الجيدور ، فى منطقة تقع بين دمشق وبحيرة طبرية ، ونشأ فى حجر أبيه نصرانيا ثم أسلم ، وعاش فى هذه القرية كما يعيش أبناء الفلاحين ، وانعكس صداها قويا حتى بعد أن هجرها إلى دمشق طلبا للرزق ، كما يفعل الكثيرون من أبناء القرى حين يضيقون بها ، وبحياتهم فيها ، فيهجرونها إلى المدن .

بدأ حياته حدثا فى دمشق يعمل عند حائك ، وعند خمار ، ولم تطب له الحياة فيما يبدو ، فرحل إلى مصر ، واستقر فى الفسطاط ، وأقام خمس سنوات كاملة ، عمل خلالها سقّاء فى جامع عمرو بن العاص ، يحمل الماء إلى المترددين عليه من المصلين والطلاب وشيوخهم ، فأتاح له هذا العمل أن يختلف إلى حلقات الدرس التى تغمر الجامع ، فأفاد منها ، وأعانته على ذلك ذاكرة حديدة ، وحافظة قوية ، فحفظ قدرا كبيرا من الشعر ، وبلغ محفوظه من الأراجيز وحدها ، فيما يقال ، أربع عشرة ألف

أرجوزة ، غير القصائد والمقطوعات ، مع جودة ما يختار من ذلك ويحفظ ، إلى ذكاء متوقد ، وبديهة مواتية ، وإفحام فى الجدل ، قال له **أبو سعيد الضرير** العالم الراوية حين التقى به . « يا أباتمام لِمَ لا تقول من الشعر ما يُفْهم » ، فردّ عليه : « وأنت يا أبا سعيد ، لِمَ لا تفهم من الشعر ما يُقال ؟ » .

وتذكر كتب التاريخ مثلا آخر أدل على سرعة بديهته ، وهو قصته مع الخليفة **المستعين** ، المتوفى ٢٥٢ هـ = ٨٦٦ م ، حين مدحه بسينيتهالمشهورة ، ومطلعها :

ما فى وقوفك ساعةً من باسِ تقضى ذِمامَ الأَرْبعِ الأَدْراسِ

فلما وصل إلى قوله :

إقدام عَمْرٍو ، فى سماحةِ حاتمٍ فى حِلْمِ أحنفَ ، فى ذكاءِ إياس

قال الفيلسوف الكندى ، وكان حاضرا وأراد الطعن عليه . الأمير فوق مَن وصفْتَ ، وما زدت على أن شبهته بأجلاف العرب ، فأطرق أبو تمام قليلاً ، ثم قال على البديهة :

لا تنكروا ضَرْبِى له مَن دونه مَثَلاً شروداً فى الندى والباسِ
فالله قد ضرب الأقلَّ لنورِه مثلاً من المشكاةِ والتيراس

ولمّا أُخذت القصيدة منه لم يجدوا فيها هذين البيتين ، فعجبوا ، وقال الفيلسوف للخليفة : مهما يطلب فاعطه ، فإن فكره يأكل جسمه ، كما يأكل السيفُ المهنَّدُ غمدَه ، ولن يعيش طويلا ، فولاه بريد الموصل .

لكن حياته المتواضعة فى مصر لم ترضه ، ولم يحقق ماديا ما كان يطمح فيه ، فقفل راجعا إلى دمشق ، وحين زارها **المأمون** حاول عبثا أن يحظى بالدخول عليه ، ولما أعياه الرجاء توجه إلى الموصل وأقام بها سنتين ، ثم رحل إلى أرمينية فأجزل له واليها **خالدُ بن يزيد العطاءَ** ، وبعد وفاة المأمون عام ٢٣٠ هـ = ٨٣٣ م ، قدم إلى بغداد ، واتصل بالخليفة المعتصم ، ثم **الواثق** من بعده ، وبكبار رجل الدولة ، والكتاب والشعراء ، ولكنه ما لبث أن فارق بغداد ، ورحل إلى خراسان ، ومدح واليها **عبد الله بن طاهر** ، واستقر بها وقتا ، ثم تركها إلى الحجاز ، وعاش فيه زمنا ، وما لبث أن فارقه عائدا إلى بغداد مرة أخرى ، حيث لقيه الموت شابا لمّا يتجاوز الأربعين من عمره .

كان **أبو تمام** شاعرا صاحب مذهب ومنحى ، فلفظه جزل ، وأسلوبه متين ، ومعانيه قوية ، يلحّ عليها ويتعمقها ، يعنى بشعره ويجوّده ، يُكثر من البديع ويفتن فيه ، يعرف منزلته ويقدّرها ، وبلغ حدًّا من الشهرة أخمل فيه كثيرين من شعراء عصره ، وقطع أرزاقهم ، فلم يستطع أحد منهم أن يكسب درهما على حد قول الرواة ، وفرض زعامته هذه فرضا ، فاعترف له بها الناس ، ودانت له بها الشعراء ، وكان كالمتنبى من بعده ، يعرف أن شعره سوف يخلد ، يشرّق ويغرب ، ويملأ الدنيا ، ويثير الكثير من الجدل والنقاش فى المحافل الأدبية ، وبين النقاد والعلماء ، وصح ما توقعه ...

أورد لنا **الآمدى** ، المتوفى ٣٧٠ هـ = ٩٨٠ م ، فى كتابه « الموازنة بين الطائيين » نصا بالغ الأهمية ، يلقى ضوءا كاشفا على ثقافة أبى تمام الشعرية ، ومؤلفاته فى هذا المجال ، ولأهميته أورده كاملاً ، معقّبا على كل فقرة بما يوضحها ، يقول :

١ - « كان **أبو تمام** مشتهرا بالشعر مشغوفا به ، مشغولا مدة عمره بتبحره ودراسته ، وله كتب اختيارات مؤلفة فيه مشهورة معروفة ، فمنها : **الاختيار القبائلى الأكبر** ، اختار فيه من كل قبيلة قصيدة ، وقد مرّ على يدىّ هذا الاختيار » .

وهو كتاب **مختار أشعار القبائل** ، وذكره البغدادى من علماء القرن الحادى عشر الهجرى ، السابع عشر الميلادى ، فى كتابه « خزانة الأدب » ، ولكن أحداً لم يهتد إلى نسخة منه حتى يومنا ، ويذكره **الآمدى** أحيانا « الاختيار القبائلى » دون ذكر الأكبر اختصارا ، فظنه **فؤاد سزكين** فى كتابه « تاريخ التراث العربى » كتابا آخر ، ومضى مع الوهم إلى نهايته فأضاف : « قيل إنه كان يضم ، على العكس من الكتاب الأول ، مقطوعات لشعراء القبائل الأقل شهرة »[1] . وكل ذلك ليس بصواب ، ولا يفهم من إشارات الآمدى أنهما كتابان .

٢ - « ومنها الاختيار الذى تلقّط فيه محاسن شعراء الجاهلية والإسلام ، فأخذ

---

(١) فؤاد سزكين ، تاريخ التراث العربى ، المجلد الثانى ، الجزء الأول ، ص ٦٣ ، ترجمة محمود فهمى حجازى وآخرين ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م ، طبعة جامعة محمد بن سعود الإسلامية فى الرياض .

من كل قصيدة شيئا حتى انتهى إلى إبراهيم بن هرمة [المتوفَّى عام ١٥٠ هـ = ٧٦٧ م] وهو اختيار معروف ، يُعرف باختيار **شعراء الفحول** »

وهذا الكتاب يعرف باسم **فحول الشعراء** ، ونعرف من الإشارات المختلفة إليه فى المصادر الأخرى ، أنه رتّبه حسب الموضوعات ، ولايزال مخطوطا حتى يومنا ، وتوجد مخطوطته بالمكتبة الرضوية ، فى المشهد الرضوى بطوس ، كما يُرى فى فهرستها جـ ٣ ص ١٨٥ ، وهى فى ١٩٣ ورقة ، من القرن الخامس الهجرى ، وهى فريدة فيما أعلم حتى يومنا .

٣ - « ومنها اختيار تلقّط فيه أشياء من أشعار المقلين ، والشعراء المغمورين غير المشهورين ، بوَّبه أبواباً ، وصدّره بما قيل فى الشجاعة ، وهو أشهر اختياراته ، وأكثرها فى أيدى الناس ، ويُلقب **بالحماسة** » .

وهى أهم مختارات أبى تمام ، وأكثرها شيوعا وتأثيرا فيما جاء بعدها وسندرسها تفصيلا .

٤ - « ومنها **اختيار المقطّعات** ، وهو مبوّب على ترتيب الحماسة ، إلا أنه ذكر فيه أشعار المشهورين وغيرهم من القدماء والمتأخرين ، وصدّره بذكر الغزل ، وقد قرأتُ هذا الاختيار ، وتلقّطت منه نُتَفا وأبياتا كثيرة ، وليس بمشهور شهرة غيره » .

وسمَّى **أبو تمام** كتابه **الوحشيات** ، لأن محتواه مقاطيع أوابد ، وشوارد لا تعرف عامة ، وأغلبها للمقلين من الشعراء أو المغمورين منهم ، وشُهر أيضا باسم **الحماسة الصغرى** ، لأنه دون الحماسة فى حسن الاختيار وجوده الانتقاء . ويصفه القاضى **الباقلانى** ، المتوفى ٤٠٣ هـ = ١٠١٢ م ، فى كتابه إعجاز القرآن بأنه فيه « تنكّب المستنكر الوحشى ، والمبتذل العامى ، وأتى بالواسطة » .

ووصلنا حتى الآن فى نسخة فريدة ، وحققه وعلّق عليه **عبد العزيز الميمنى الراجكوتى** ، وزاد فى حواشيه **محمود محمد شاكر** ، وصدر عن دار المعارف بالقاهرة ، فى طبعة جيدة ، فى سلسلة « ذخائر العرب » عام ١٩٦٣ .

٥ - « ومنها اختيار مجرد فى **أشعار المحدثين** ، وهو موجود فى أيدى الناس » .

ولا أعرف فى ما مرّ على من كتب التراث أو دراسات المحدثين من أشار إلى هذه المجموعة الأخيرة ، وواضح من تعبير **الآمدى** أنها لم تكن مشهورة ، ولعل

مخطوطتها موجودة فى مكتبة خاصة ، أو عامة مغمورة ، أو تحت مؤلف آخر ، أو بعنوان مختلف ، أو مجهولة لم تنسب إلى أحد ، وكم فى مخطوطاتنا من طرائف ومفارقات .

ويختم الآمدى حديثه عن مؤلفات أبى تمام بتقييم ثقافته الشعرية ، ويلمح إلى تخصصه وأهمية مختاراته ، وأنها ثمرة استيعاب عميق ، واستقراء واسع ، ومعرفة متمكنة بالمجال الذى يعمل فيه .

* * *

يذكرون فى سبب تأليف الحماسة أن أبا تمام توجه إلى خراسان ليمدح واليها عبد الله بن طاهر ، ولما وصل إليها التقى بأبى سعيد الضرير وآخر يمثلان المستشاريْن الفنييْن للوالى ، فلا يجيز قصيدة إلّا إذا أثنيا عليها ، فأنشدهما أبو تمام قصيدته التى مطلعها :

أَهنَّ عوادِى يوسفٍ وصواحبُهْ فَعَزْماً فَقِدْماً أدركَ الثأرَ طالِبُهْ

فاعترضا عليها وأسقطاها ، بسبب هذا البيت ، لأنهما أدركا فيما يبدو أن البيت معيب من الناحية العروضية ، فقد دخله الحزم ، ولعلهما كذلك أحسّا بالثقل فى قوله « فعزماً فقدماً » ، ولكن أبا تمام رجاهما أن يعاودا النظر ، وألّا يتسرعا فى الحكم ، فأخذا فى قراءتها من جديد ، ولما وصلا إلى قوله :

وركْبٍ كأطرافِ الأسِنّة عرَّسوا على مثلها والليلُ تسطو غياهِبُهْ
لأمْرٍ عليهِمْ أنْ تتمَّ صدورُه وليس عليهِمْ أن تتمَّ عواقبه

استحسنا القصيدة ، وأخذا له من الوالى ألف دينار ، وبعد وقت قرر أن يرجع إلى العراق ، وفى طريقه إليه عرّج على همذان ، فأنزله أبو الوفا بن سلمة وأكرمه ، وأصبح ذات يوم وقد وقع ثلج عظيم قطع الطريق ومنع السابلة ، فقال له أبو الوفاء : وطّن نفسك على المقام فإن هذا الثلج لا ينحسر إلّا بعد زمان ، وأحضره خزانة كتبه فطالعها واشتغل بها ، وصنّف الكتب الخمسة التى أشرنا إليها من قبل ، وبينها كتاب الحماسة ، وبقيت فى خزائن آل سلمة .. يضنون بها حتى تغيرت أحوالهم ، وورد على همذان رجل مِن دينور ، يُعرف بأبى العواذل ، وكان ورّاقا فيما يبدو ، فظفر بها ، وحملها إلى أصبهان ، فانتشرت النسخ منها ، وعُنى أهل أصبهان بتصحيحها ، واشتهرت الحماسة فيهم ، ثم فيمن يليهم ، وكانت

السبب الأساسى فى مجد أبى تمام وشهرته ، حتى قال شارحه **التبريزى** : « إن أبا تمام فى حماسته أشعر منه فى شعره »[1] وهو السبب أيضا فى أنك لا تجد أحدا يرويه مسندا إلى أبى تمام رواية .

يصعب التصديق أن أبا تمّام استطاع بدءًا ، دون تفكير سابق ، إعداد المختارات الشعرية التى أومأنا إليها ، من مختارات شعرية غير مصنفة ، فى هذا الوقت اليسير ، ولعل الأقرب أن الفكرة كانت مختمرة فى ذهنه ، وربما قطع فيها شوطا ، فلما فرضت عليه هذه العزلة أتمها ، أو لعله وقع على مجموعات مصنفة على نحو ما ، فأعمل فيها ذوقه ، قبولا ورفضا ، ومن ثم كانت مهمته ميسورة ، وجهده محدودا .

أول ما نلحظ على **مختارات الحماسة** أن الشعر استأثر فيها بالجانب الأوفر ، وجلّه مقطعات لا قصائد ، وحظ **الأراجيز** فيها محدود ، رغم أن المؤلف كان يحفظ منها الكثير كما أومأنا من قريب ، وهو اتجاه وراءه ، فيما أرى ، الغاية من المختارات نفسها ، فقد استهدف بها كما قلنا فى البدء إرضاء المتذوّقين ، وإشباع الهواة ، لا الدارسين ولا الرواة ولا علماء اللغة ، والرجز تغلب على ألفاظه الغرابة ، وهى تعجب الباحث ولكنها تنفّر الهاوى ، ويدعم رأيى هذا أن الأراجيز القليلة التى جاء بها خلت من الألفاظ الغريبة ، وتقل فيها المفردات الوحشية ، إلى حد يقرب بها من الشعر .

وربما رأى أبو تمام ، أن الرجز دون الشعر ، وهو اتجاه نلتقى به واضحا فيما بعد عند **أبى العلاء المعرى** ، فهو يقرر على لسان ابن القارح ، فى رسالة الغفران ، عند حديثه عن امرئ القيس : « الرجز أضعف من الشعر » ، ويقول فى إحدى لزومياته :

قصرت أنْ تدرك العلياء فى شرف إن القصائد لم تلحق بها الرجزُ

---

(١) فى شرح التبريزى للحماسة : « فبقى كتاب الحماسة فى خزائن آل سلمة يضنون به حتى تغيرت أحوالهم ، وورد على همذان رجل من دينور فظفر به وحمله إلى أصبهان » . وفى شرح أبى القاسم الفارسى المسمى أن أبا تمام ألف فى هذه الفترة ثلاثة كتب : الحماسة ، « والوحشىّ وشيئا من انتخابه » ، وبقيت الكتب عند أبى الوفاء بن سلمة إلى أن توفى ، ثم جاء من حمل الكتب الثلاثة إلى أصبهان . وفى رواية ثالثة ، أنه ألّف الكتب الخمسة التى أشرنا إليها . ويمكن الجمع بين الروايات دون صعوبة ، فمنهم من نظر إلى الأصل ، أو إلى ما اشتهر وعرف .

ويرد فى الخاطر أيضاً أن القدر الهائل من الأراجيز الذى كان يحفظه أبو تمام طالبا يدرس ، بغّض إليه هذا اللون من الشعر ، فلما شب عن الطوق ، وبدأ يختار للراغبين فى الشعر ، لم يشأ يجرعهم من المرارة ما تجرع فى صباه .

تختلف المقطعات فى الحماسة طولا وقصرا ، فقد تبلغ بضعة عشر بيتا كحد أعلى ، وقد تقل حتى تصبح بيتين ، وفى بعض الأحيان بيتاً واحدا ، لأن غاية أبى تمام انتقاء الجيد فحسب ، وهو أمر كان يدفعه أحيانا إلى فصل الأبيات عما قبلها مع شدة ارتباطها بما سبق ، كما فى أبيات عمرو القنا ، وهو شاعر إسلامى من فرسان الخوارج المعدودين :

ألقائلينَ إذا هُمْ بالقَنا خرجوا ... مِن غمرة الموتِ فى حَوْماتها عودوا
عادوا ء فعادوا كِرامًا لا تَنابِلَةً ... عند اللقاءِ ولا رُعْشٌ رعاديد
لا قودَ أكرمُ منهُمْ يوم قال قائِلهُمْ ... مُحرِّضُ الموتِ عن أحسابكُمْ ذودوا

فقد اقتطع هذه الأبيات ممَّا قبلها ، مع شدة ارتباطها به ، لأنه بدأها « بالقائلين » ، وهى صفة لموصوف فى الأبيات التى سبقت ، ومع ذلك ترك البداية لاهتمامه بالجودة وحدها ، ولولا ذلك لجاءنا بما تعلقت به الصفة .

وشعراء الحماسة : ينتسبون فى قبائل شتى ، ومنهم الجاهليون والإسلاميون ، ويرجع تاريخهم إجمالاً إلى ما قبل سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ، أى قبل عام ١٣٢ هـ = ٦٥٠ م ، ولو أنه يفسح المجال قليلا لشعراء عاشوا فى الدولتين ، مثل أبو عطاء السِّندى ، المتوفى بعد سنة ١٨٠ هـ = ٧٩٦ م ، وأكثر الذين اختار لهم من المقلّين ، أو ممن ليست لهم شهرة واسعة ، وهو أدخل فى باب الشعر ، لأنه بعيد عن التكلف ، وأصحابه يتلبثون به ، ويترددون فيه ، ويتناولونه بالصقل والتهذيب ، فيجىء أحكم عبارة ، وأصفى رواء ، وأجمل موسيقا .

وفى كثير من الأحيان لا ينسب أبو تمام مختاراته إلى قائليها ، مكتفيا بذكر : « وقال آخر ... » ، أو « وقالت امرأة ... » وربما نسبه إلى مجهول أو مجهولة من قبيلة معيّنة ، فيقول : « قال رجل من بنى الحارث » ، أو « قالت امرأة من طيئ » ، وقد ينسبه إلى مجهول أو مجهولة من البدو ، فيقول : « وقال أعرابى » ، أو « وقالت أعرابية » ، ومرد ذلك أنه كان يجهل نسبة الشعر إلى أصحابه ،

أو يشك فى هذه النسبة ، أو وجد لرواة يختلفون حولها .

كسر أبو تمام حماسته على عشرة أقسام أو أبواب هى : الحماسة ، والرثاء ، والأدب ، والنسيب ، والهجاء ، والأضياف والمديح ، والصفات ، والسير والنعاس ، والملح ، ومذمة النساء .

وسُمِّىَ الكتاب بالحماسة أول أبوابه تغليبا ، لأنها تضم وحدها ١٣٢٤ بيتا ، ولسائر الأبواب الأخرى ٢٤٤٠ بيتا ، أى أن شعر الحماسة وحده يعدل ثلث الكتاب تقريبا .

وأول ما نلحظه على هذه الأبواب أن أبا تمام جمع بين شعر الأضياف والمدح فى باب واحد ، مع أنهما مختلفان ، فالأول يتحدث عن إكرام الضيف والفخر به ، والفخر غير المديح ، غير أنه نظر إليهما ، فيما يبدو ، من ناحية الفكرة ، فكلاهما ثناء وحمد ، فلم يفرق بينهما ، وربما للسبب نفسه لم يضمّن كتابه بابا خاصا بالفخر ، والذين يفرقون بينهما يرون انفخر ثناء المرء على نفسه ، والمدح ثناؤه على غيره .

وفرّق بين الهجاء والمذمّة ، أطلق باب الهجاء ، وأضاف المذمة إلى النساء ، مع أنهما شىء واحد ، وفَصْلُه بينهما يعنى أنه لا يراهما كذلك ، ومن يستعرض الأشعار التى أوردها فى كلا البابين يجد أنه أراد بالهجاء خلو الرجل مما يعده العرب ميزة فيه وفضلا ، كالجبن والبخل ، والضعة ، والهرب عند اللقاء ، وقلّة العشيرة ، وضعف القبيلة ، وغيرها مما هو معنوى فى مجمله ، وقصر الثانى على عيوب المرة الخِلْقية ، ونقائصها الحسيّة ، دون أن يذهب إلى ما وراء ذلك من حسب أو نسب أو خلق .

وكذلك جعل السيْر والنعاس فى باب خاص مستقل ، مع أن شعرهما يمكن أن يلحق بشعر الوصف ، لأنهما من ظواهر الحياة الملموسة فى البادية ، تمثلان الضرب فى الصحارى ، ومعاناة الشدائد فى البيد ، فلم يرد أن يلحق شعرهما بالوصف لئلا يضيع فيه ، مع شدة اعتناء الناس بهما .

ونلحظ أن أبا تمام أغفل باب الاعتذار ، وهو من أغراض الشعر المرموقة ، فى أيامه وقبلها على الأقل ، ولم أجد للأمر تفسيرا ، إلّا أن يكون الوقت قد ضاق به عن المتابعة وإكمال المختارات .

ونعرف من ملاحظة للمرزوقى أحد شرّاح الحماسة أن أبا تمام كان يصلح الشعر

الذى رواه ، يقول : « إنك تراه ينتهى إلى البيت الجيد ، فيه لفظة تشينه ، فيجبر نقيصته من عنده ، ويبدل الكلمة بأختها فى نقده ، وهذا بيّن لمن رجع إلى دواوينهم فقابل ما فى اختياره بها » .

* * *

يعد كتاب الحماسة جليل القيمة من الناحيتين الفنية والأدبية ، فهو من الناحية الفنية معرض حافل بألوان متعددة من الشعر الجيد ، لعصرين من أرقى عصور العربية : العصر الجاهلى والعصر الإسلامى .

ومن الناحية اللغوية يرجع إليه الأدباء عند المقارنة والتحقيق ، كما يستدل النحاة واللغويون والمفسرون والمحدثون والمؤلفون فى الأدب بنصوصه ، وقد شهد له الإمام الزمخشرى ، المتوفى ٥٣٨ هـ = ١١٤٣ م ، فى تفسيره قول الله تعالى : ﴿ يكاد البرقُ يخطفُ أبصارهم ، كلَّما أضاءَ لهم مشوا فيه ، وإذا أظلم عليهم قاموا ﴾ ، فأظلم يحتمل أن يكون غير متعدّ ، وهو الظاهر ، وأن يكون متعدّياً منقولا من ظَلِمَ الليل ، وتشهد له قراءة ابن قطيب « أُظْلِمَ » ، على ما لم يسمَّ فاعله ، وجاء فى شعر حبيب بن أوس (أى أبى تمام) :

هُما أَظْلَمَا حالىّ ثُمَّتَ أجليا ظلاميهما عند وجهِ أمردَ أشنب

وهو وإن كان محدثا لا يستشهد بشعره فهو من علماء العربية ، فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ، ألا ترى إلى قول العلماء : الدليل عليه بيت الحماسة ، فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه » .

ويقول النناد : « إن أبا تمام فى اختياره الحماسة أشعر منه فى شعره » ، يعنون أنه وُفِّق فى الاختيار كما لم يوفق فى الإبداع ، فسلمت مختاراته مما لم تسلم منه أشعاره ، وهى قولة فيها بعض الحق ، ولا نأخذ بها على إطلاقها ، فمن الظلم أن نوازن بين اختيار أبى تمام وإبداعه ، فهو فى الأول ناقد يتأمل ويدرس ويحكم ويختار ، وفى الثانى مبدع يستجيب لمشاعره الداخلية ، تجرى على لسانه شعرا رائعاً أو نظماً ملتوياً .

ويمكن تصور النجاح الذى لقيته حماسة أبى تمام من المختارات العديدة التى صيغت على منوالها ، واستعارت اسمها ، ومن الشروح المثيرة والمتنوعة التى

عرضت لها ، تشرحها إجمالاً أو تقف على جانب منها ، كأن تصلح أخطاءها ، أو توضح مشكل أبياتها ، أو تعربها ، أو تبين أسماء شعرائها ، أو تضبط ألفاظها ، أو تعلق على شروحها ، توجزها أو تضيف إليها ، وضاع جانب كبير من هذه المؤلفات ، ووصلنا عدد لا بأس به ، جانب منه يرقد مخطوطات كاملة أو مجتزأة فى مكتبات العالم المختلفة ، وسوف نشير إلى المطبوع من هذه الشروح ، وإلى المخطوطات التى وصلتنا ولمّا تنشر ، متجاوزين عن الشروح التى لم نعرف غير أسمائها من الكتب المختلفة ، دون أن تصلنا :

● **التنبيه فى شرح مشكل أبيات الحماسة لابن جنى** ، المتوفى ٣٩٢ هـ = ١٠٠٢ م ، وطبع فى القاهرة عام ١٩٢٧ م . وله أيضا : **المبهج فى تفسير أسماء شعراء الحماسة** ، وطبع فى دمشق عام ١٣٤٨ هـ ، ويعد تتمة للكتاب الأول ، واعتمادًا عليهما كتب **الخضرمى** ، إبراهيم بن محمد بن ملكون ، المتوفى ٥٨٤ هـ = ١١٨٨ م شرحه : **إيضاح المُنْهج فى الجمع بين كتابى التنبيه والمنهج** ، ويوجد مخطوطًا فى الإسكوريال فى ١٢٤ ورقة ، وتوجد له مخطوطة أخرى فى المكتبة الحمزاوية فى المغرب .

● **شرح المرزوقى** ، أبو على أحمد بن محمد ، المتوفى ٤٢١ هـ = ١٠٣٠ م ، وحققه **أحمد أمين** ، **وعبد السلام هارون** ، فى أربعة أجزاء ونشر فى القاهرة ١٩٥١ - ١٩٥٣ م .

● **شرح الجرجانى** ، أبى الفتوح ثابت بن محمد ، المتوفى ٤٣١ هـ = ١٠٤٠ م ، وتوجد مخطوطته فى الأسكوريال فى ٢٣٠ ورقة .

● **شرح الفارسى الفَسَوى** ، أبو القاسم زيد بن على ، المتوفى ٤٦٧ هـ = ١٠٧٥ م ، وفرغ منه قبل وفاته بعام واحد ، ويقوم الآن بتحقيقه ودراسته تحت إشرافى ، الباحث السودانى **محمد عثمان على** ، ليحصل به على درجة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة القاهرة ، فرع الخرطوم .

● **شرح الأعلم الشنتمرى** ، المتوفى ٤٧٦ هـ = ١٠٨٣ م ، ولمّا يطبع ، وكانت مخطوطته فى مكتبة العالم التونسى **حسن حسنى عبد الوهاب** ، وانتقلت الآن إلى مكتبة تونس الوطنية ، وهى فى ١٧٤ ورقة .

● **شرح التبريزى** ، أبو زكريا يحيى بن على ، المتوفى ٥٠٢ هـ = ١١٠٩ م ،

وهو فى ثلاث مستويات ، صغير ومتوسط وكبير ، وطبع فى بولاق عام ١٩٢٦ م ، ثم حققه **محمد محيى الدين عبد الحميد** فى أربعة مجلّدات ، القاهرة ١٣٥٨ هـ .

● **إعراب أبيات الحماسة ، تأليف العُكْبرى** ، أبو عبد الله بن الحسين ، المتوفى ٦١٦ هـ = ١٢١٩ م ، وتوجد مخطوطته فى مكتبة ينى جامع فى تركيا فى ٢٠٧ ورقات ، من القرن السابع الهجرى .

● **شرح ابن نظر الجزرى** ، أبى يوسف بن الفضل ، عاش فى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى ، ويوجد مخطوطًا ، بخط المؤلف ، فى المتحف البريطانى ، فى ٢٦٠ ورقة .

● **مقتضى السياسة فى شرح نكت الحماسة ، تأليف ابن الجوزى** ، يوسف ابن قِزُغلى . المتوفى ٦٥٤ هـ = ١٢٥٦ م ، ويوجد القسم الأول منه مخطوطًا فى مكتبة جامعة استنبول ، بخط المصنف ، فى ١٩٣ ورقة .

● **أسرار الحماسة ، تأليف سيد بن على المرصفى** ، المتوفى ١٣٣٠ هـ = ١٩٣١ ، ونشر القسم الأول منه فى القاهرة ١٣٣٠ هـ = ١٩١٢ م .

وكانت **الحماسة من أوائل الكتب التى طُبعت** فى أوربا ، أو العالم الإسلامى ، أو العالم العربى ، فقد طبعها فرايتاج فى بُن ، فى جزأين عام ١٨٢٥ – ١٨٤٧ ، وطُبعت لأول مرة فى مصر ، فى مطبعة بولاق عام ١٢٨٦ هـ = ١٨٧٠ م ، ثم توالت طبعاتها بعد ذلك ، ولمّا تتوقف حتى يومنا ، وطُبعت فى الهند : فى كلكتا عام ١٨٥٦ م بشرح **مولوى كبير الدين أحمد** ، **ومحمد غلام ربانى** ، وفى لكنو عام ١٢٩٣ هـ = ١٨٧٧ م ، بشرح **مولوى فيض الحسينى** ، وفى بومباى عام ١٢٩٩ هـ = ١٨٨٣ م ، بشرح الشيخ لقمان ، وطُبعت فى بيروت عام ١٣٠٦ هـ = ١٨٩٠ م ، وطُبعت فى موسكو بتحقيق كريمسكى عام ١٩١٢ .

وترجمها إلى اللغة الألمانية أديب ألمانى مستشرق هو **ديكرت** ، وصدرت فى شتوتجارت فى جزأين عام ١٨٤٦ . ولها شرح باللغة الفارسية للأحمدى ، يوجد مخطوطًا فى طهران ، فى ١٢٠ ورقة ، نُسخ عام ١٢٥٠ هـ .

ونظم الطبيب **المظفّر بن أحمد الأصفهانى** ديوانًا عارض فيه الحماسة بيتًا بيتًا ، فى عهد ملكشاه السلجوقى ، الذى تولى الملك من ٤٦٥ هـ = ١٠٧٢ إلى ٤٨٥ هـ = ١٠٩٢ م .

○ حماسات أخرى :

أدى إقبال الناس على حماسة أبي تمام واحتفاؤهم بها إلى محاولة التأليف على منوالها ، واقتفاء منهجها ، واستعارة سمها ، وهي ظاهرة تعرفها الآداب بعامة ، وتتكرر في كل العصور ، ولكن عمل أبي تمام غطّى لزمن ، وربما في بعضها إلى الأبد ، على خطى الذين تبعوه وساروا وراءه ، وسنأتي على ما بقي من هذه الحماسات ، وكان له حظ من التقدير ، مرتبة تاريخيا :

● **حماسة البحتري** ، المتوفى ٢٨٤ هـ = ٨٩٧ م ، وكان تلميذ أبي تمام وراويته ، وظل قريبًا من أستاذه ، ووفيا له ، ويقدمه على سائر الشعراء ، وألف على منواله مجموعة من المختارات الشعرية ، ربّما إجابة لطلب الفتح بن خاقان ، وزير الخليفة العباسي **المتوكل** ، وجاءت في ١٧٤ بابًا ، تشتمل على مقطوعات صغيرة وأبيات مفردة في مختلف معاني الشعر ، ويغلب عليها طابع الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة ، ومنتخبة في مجملها من أشعار الجاهلية ، وحملت اسم الحماسة ، ولا يمكن القطع بأن هذا الاسم من عمل البحتري ، وربما كان من صنع الناسخين والناشرين والورّاقين ، أطلقوه على هذه المختارات لتجد من الرواج والذيوع ما وجدته حماسة أبي تمام ، وليس هناك ما يشي بتوفيقهم ، والعكس صحيح ، فقد كان حظ حماسة البحتري من الرواج محدودا ، ولم تصلنا منها غير مخطوطة واحدة توجد الآن في مكتبة جامعة ليدن ، وبقيت لزمن طويل غير معروفة تقريبًا ، ولا نعرف لها شراحا ولا معلقين ، حتى أن البغدادي من علماء القرن الحادي عشر الهجري أنكر أن تكون للبحتري حماسة ، مما يقطع بأنها كانت سقطة في زوايا النسيان تمامًا .

وقد طبعها تصويرًا بالحجر عن مخطوطة ليدن ، وعمل لها فهارس المستشرقان : **جاير ومرجليوث** ، ونشراها في ليدن عام ١٩٠٩ م ، ونشرها في بيروت عام ١٩١٠ م ، عن المخطوطة نفسها ، مع مقدمة ونقد ، الأب **لويس شيخو** ، ونشرها في القاهرة **محمد محمود الرافعي** ، بعنوان « مختارات أشعار لعرب » عام ١٣٣٠ هـ = ١٩٢٢ م ، ثم نشرها باسمها « حماسة البحتري » **كمال مصطفى** في القاهرة عام ١٩٢٩ م .

● **الحماسة الشجرية ، تأليف ابن الشجرى** ، صاحب المختارات التى عرضنا لها من قبل ، وهى فى خمسة عشر بابًا وعشرين فصلًا ، وتضم مختارات فى الشعر الجاهلى ، وصدر الإسلام والعصر العباسى ، وطبعها المستشرق كرنكو فى حيدر أباد عام ١٣٤٥ هـ ، وحققها ونشرها فى دمشق فى جزأين **عبد المعين الملوحى وأسماء الحمصى** عام ١٩٧٠ ، وهى - كحماسة البحترى - لم تلق شيوعًا أو نجاحًا .

● **حماسة الخالديين** ، وعنوانها الأصلى « **الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين** » وهى من تأليف الأخوين : **أبى عثمان سعيد** ، المتوفى ٣٥٠ هـ = ٩٦١ م ، وأبى بكر محمد ، المتوفى ٣٨٠ هـ = ٩٩٠ م ، ابنى **هاشم الخالدى** ، وكانا من شعراء **سيف الدولة الحمدانى** . وليس للكتاب صلة بمنهج الحماسة ، وإن حمل اسمها ، وإنما يهتم بالموازنة بين الشعر القديم والحديث ، وحاولا أن يثبتا أفضلية شعر الجاهلية وصدر الإسلام ، وأخذ عليهما ابن أبى الفرج صاحب الحماسة البصرية أنهما يفتقدان المنهج الواضح فى كتابهما ، وقد حققه **السيد محمد يوسف** ، ونشره فى القاهرة فى جزأين عام ١٩٥٨ - ١٩٦٠ م .

● **الحماسة البَصْرية** : من تأليف صدر الدين **على بن أبى الفرج البصْرى** ، وقدمها إلى **الملك الناصر** أمير حلب عام ٦٤٧ هـ = ١٢٤٩ م ، ولا نعرف له تاريخ وفاة ، وهى تضم مختارات من الشعر حتى زمن المؤلف ، وألفها على نمط حماسة **أبى تمام** ، ومخطوطاتها موزعة على مكتبات العالم ، وطبعها **مختار الدين أحمد** فى جزأين ، فى حيدر أباد عام ١٩٦٤ .

● **صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب** ، وتعرف أيضًا باسم **الحماسة المغربية** ، تأليف أبى العباس **أحمد بن عبد السلام الجراوى** ، المتوفى ٦٠٩ هـ - ١٢١٢ م ، عارض به **حماسة أبى تمام** ، وألّفه للسلطان أبى يوسف **يعقوب بن عبد المؤمن** أمير الموحِّدين ، وتضم مقطعات من الشعر العربى كله حتى زمن المؤلف ، وأبوابه : المدح ، والفخر ، والمراثى ، والنسيب ، والأوصاف ، والأمثال والحكم ، وذم النقائض ، والزهد والمواعظ ، وتوجد له مخطوطة وحيدة فى خزانة تشورلى باشا ، فى مكتبة فاتح ، تحت رقم ٤٠٧٩ ، وهى فى ١١٠ ورقات ، وفرغ ناسخها منها فى غرة جمادى الأولى سنة ٦١٨ هـ = ١٢٢٠ م ، وهى ليست

النسخة الأصلية وإنما مختصر لها قام به المؤلف نفسه بأمر من السلطان يعقوب .

وضاعت حماسات أخرى لأبى دماش ، ولابن المرزبان ، ولابن فارس ، وللأعلم الشنتمرى ، وآخرين كثيرين .

○ **منتهى الطلب من أشعار العرب :**

ألّفه **محمد بن المبارك بن ميمون** ، وهو شخصية مجهولة لنا ، ونعرف من الكتاب نفسه أن هذا الاختيار كمل فى بغداد عام ٥٨٩ هـ = ١٩٣ م ، ويضم أكبر مجموعة مختارة من الشعر العربى فى الجاهلية وصدر الإسلام ، وكان فى ستة **مجلدات** وعشرة أقسام ، يضم كل قسم منها مئة قصيدة مشهورة ، أى أن مجموعها ألف قصيدة ، ولكن الواقع أن المجموعة ضمت ١٠٥١ قصيدة ، و ٢٩ مقطوعة ، فى ٣٩٩٩٠ بيتًا ، لمئتين وأربعة وستين شاعرًا . ولم يصلنا من الكتاب إلا نصفه تقريبًا .

وجاء فى مقدمة المصنف أنه أفاد من « المفضليات » و « الأصمعيات » و « نقائض جرير والفرزدق » ، وجمع القصائد التى أوردها **ابن دُرَيْد** فى كتابه « الشوارد » ، وأضاف إليها أحسن قصائد الهذليين ، وقصائد المذكورين فى طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، وقصائد الشعراء الجاهليين والإسلاميين الذين استشهد اللغويون بأبياتهم ، وليست لهم دواوين متاحة لديه ، ولكن هذه المجموعة الجيدة لم تصلنا كاملة ، وإنما وصلنا منها ثلاثة مجلدات فحسب ، وما وصلنا توزعت مخطوطاته على النحو التالى :

١ - مجلّد كُتب سنة ٩٩٥ هـ عن نسخة بخط المؤلف ، فيه الأقسام : الأول والثانى وبعض الثالث ، وينتهى بشعر **كُثَيِّر** ولما ينته . ويوجد فى مكتبة لا له لى باستنبول رقم ١٩٤١ ، فى ١٦٤ ورقة .

٢ - مجلّد آخر كالسابق ، ولعله نسخة له ، كُتب عام ١٢٩٦ هـ ، فى ١٨١ ورقة ، يضم ٢١٩ قصيدة ، تحتوى على ٧٢٦٤ بيتًا من الشعر ، لثمانية وخمسين شاعرًا ، وتوجد فى دار الكتب المصرية ، رقم ٥٣ أدب ش .

٣ - مجلّد آخر مكتوب فى القرن الثالث عشر الهجرى ، بخط مغربى ، وفيه إحدى وثمانون قصيدة للشعراء : جرير والفرزدق والأخطل وقيس بن الخطيم

وكعب الغَنَوِى والشنفرى وتأبّط شرا والأحوص ، وهو فى ١٠٩ ورقات ، ويوجد [١] فى دار الكتب المصرية ، رقم ٥٣ أدب ش .

٤ - يوجد **المجلّد الثالث** فى مكتبة جامعة ييل فى الولايات المتحدة الأمريكية تحت رقم ٥٣ - S ، فى ٢٢٦ ورقة ، ونسخ عام ٨٦٦ هـ ، ويضم آخر القسم الرابع ، والخامس كله ، وأول السادس ، وقصائد المجلد ١٤٩ ، لأربعة عشر شاعرًا ، وتحتوى على ٦٧٨٦ بيتًا ، ومحتوى المجلد موزّع على النحو التالى :

تضم خاتمة **القسم الرابع** قصيدتين لعمرو بن برّاقة ، وعشر قصائد لعمر بن أبى ربيعة .

ويضم **القسم الخامس** ستًّا وثلاثين قصيدة لجرير ، وإحدى وثلاثين قصيدة للفرزدق ، وعشرين قصيدة للراعى النميرى ، وأربع عشرة قصيدة للأخطل .

ويضم **القسم السادس** ست عشرة قصيدة لحسّان بن ثابت ، وخمس قصائد لقيس بن الخطيم ، وقصيدة واحدة للحادرة ، وقصيدتان لمتمم بن نويرة ، وقصيدة واحدة لكعب الغنوى ، وثلاث قصائد للشنفرى ، وقصيدة واحدة لتأبط شرا ، وثمانى قصائد للأحوص . وهذه المخطوطة تلتقى جزئيا مع المخطوطة رقم ٣ التى توجد فى دار الكتب المصرية ، مع اختلاف فى عدد الشعراء والقصائد .

٥ - ويوجد **المجلد الخامس** فى مكتبة جامعة ييل أيضًا ، تحت رقم ٥٤ - S ، فى ٢٢٤ ورقة ، ونسخ عام ٨٦٧ هـ ، ويضم القسم الثامن ، وجانبًا كبيرًا من القسم التاسع ، ومجموع قصائده ١٧٩ قصيدة ، تحتوى على ٦٨٦٠ بيتًا ، لثمانين شاعرًا ، ويبدأ المجلد بأُنيف بن حكيم الطائى ، وينتهى القسم الثامن منه بأبى وَجْزَة لسُلَمى ، ويبدأ القسم التاسع بالمفضّل النُّكْرى ، وينتهى المجلد ، دون أن ينتهى القسم ، بقصيدة لأبى صخر الهذلى .

ولم تصلنا ثلاثة مجلدات أخرى هى : الثانى والرابع والسادس ، ومن المقدمة والإشارات الواردة فى المجلدات التى وصلتنا يمكن أن نقدم تصوّرا تقريبيا لها . فالمجلد الثانى يتضمن بقية القسم الثالث الذى توقف عنده المجلد الأول ، ويكمل شعر كثير . ويليه القسم الرابع كاملًا . ويبدأ **المجلد الرابع** بتكملة أشعار الأحوص التى تضمنها القسم السادس من المجلد الثالث ولمّا تكمل هناك ، ويضم القسم السابع كاملًا . ويبدأ **المجلد السادس** بتكملة القسم التاسع الذى انتهى

بأوله المجلد الخامس ، ويبدأ بشعر المُلَيْح بن الحكم ، وينتهى بالقسم العاشر كاملاً ، وفى نهايته توجد هاشميات الكميت .

ولعمرى إنها لمجموعة رائعة ، تستحق المتابعة ، ولذلك أطلنا التول فيها ، وقدّمنا كل ما توصلنا إليه من معلومات عنها ، فلعلّ هناك من يبدأ فى لسعى وراء بقيتها ، ليكتشف أين تستقر مخطوطاته ، أو يعمل على تحقيق ونشـ ما وصلنا ونعرفه منها .

○ منتخبات أخرى :

وثمة مجموعات أخرى من المنتخبات ، وقفها مؤلفوها على الشعر وحده أحيانًا ، وضموا إليها فصولاً من النثر أحيانًا أخرى ، ويهدفون من ورائها إلى وضع ثروة من الكلام الجيد بين يدى القراء ، تنمى ذوقهم ، أو تعينهم فى أعمالهم الأدبية ، إبداعًا ذاتيا ، أو تحريرًا مطلوبًا إذا كانوا يعملون فى دواوين الإنشاء ، ونأتى فيما يلى على أكثرها فائدة مما وصلنا فعلاً ، ما طبع منها ، أو لا يزال مخطوطًا :

● **كتاب الأنوار ومحاسن الأشعار** ، لأبى الحسن على بن محمد الشمشَاطى ، المتوفى حول عام ٣٧٧ هـ = ٩٨٧ م ، وهو مختار فى الأوصاف والتشبيهات والملح ، ويتضمن الأبواب التالية : فى السيوف والرماح وجمع السلاح - فى القسىّ والسهام - فى الدروع - فى اختيار قطعة من أيام العرب - فى الخيل وصفاتها - فى البرّ والإبل والظُّعُن والبحر والمراكب والسفن - فى حنين الأبل - فى الرباع والمنازل والأطلال وذكر السراب والآل - فى الأبنية والدور والصحون والقصور - فى الطرد والجوارح وما يصطاد من السوانح والبوارح - فى الكلب - فى الفهود - فى البزاة - فى الشواهين - فى الصقور - فى العقاب - فى النعام - فى قوس البندق - فى صيد السمك - فى الفخ .

وفى الكتاب نصوص تاريخية وأدبية لبعض أيام العرب فى الجاهلية ، وأطال الحديث عنها ، لا نجدها عند غيره كيوم الأثلب ومتالع ، وقصائد لشعراء لا تتضمنها دواوينهم التى بين أيدينا ، ولا يقصر اختياره على شعراء بعينهم ، وإنما يورد ما يتصل بموضوعه لا فرق فى ذلك بين شاعر قديم أو محدث ، ولا يعلّق على

المختارات كثيرًا ، وإنما يكتفى بإشارات عابرة ، ويوازن بين ما قاله الشعراء فى الموضوع الواحد أحيانًا ، ويلمح إلى السابق منهم ، وإلى ما يراه أدخل فى باب السرقات الأدبية . وتقدم مختاراته مادة لغوية واسعة ومفيدة فى مواضيع السلاح وأسنان الإبل والخيل ، وبعض الطيور ، وألفاظ أخرى ذات صبغة جاهلية أو بدوية .

ولا نعرف حتى الآن غير مخطوطة واحدة للكتاب توجد فى سراى أحمد الثالث فى تركيا ، تحت رقم ٢٣٩٢ ، من ٢٠٥ ورقات ، وكتبت عام ٦٣٩ هـ برسم خزانة أبى أحمد عبد الله **المستعصم بالله** أمير المؤمنين ، وعليها تملك بخط صلاح الدين الصفدى . وحقق الكتاب صالح مهدى الغزاوى ، ونشره فى بغداد عام ١٩٧٦ م .

● **كتاب الأنس والعرس** ، وهو مجموعة من الشعر والنثر تدور حول الصداقة والمسامرة ، وترجع إلى أواخر القرن الرابع الهجرى ، واختُلف حول مؤلفه : هل هو **الثعلبى** ، المتوفى ٤٢٩ هـ = ١٠٣٨ م ، أو أحد أتباع **الصاحب ابن عبّاد** ، ويوجد مخطوطًا فى المكتبة الوطنية فى باريس ، تحت رقم ٣٣٠٤ ، فى ١٩٨ ورقة . وهى نسخة كُتبت فى القرن الثامن الهجرى .

● **المنتخب الميكالى** ، ومؤلفه فيما يبدو **أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالى** ، المتوفى ٤٣٦ هـ = ١٠٤٤ م ، ويضم مختارات من الشعر والنثر ، من الجاهلية حتى عصر البويهيين ، ضمّنه كثيرًا من الشواهد التى يستخدمها البلغاء فى رسائلهم ، وصنفها موضوعيا فى خمسة عشر بابا : فى وصف الخط والكتابة والبلاغة – فى التهادى والتهانى وما يجرى مجراها – فى التعازى والمراثى وما يتصل بها – فى مكارم الأخلاق والمدائح ونحوها – فى الاستماحة والهزّ والشفاعة والاستعانة – فى الشكر والثناء وما يقاربها – فى الاستعطاف والمعاتبات والاعتذار – فى الهجاء والذم وذكر المقابح – فى شكوى الزمان والحال وما يجرى مجراها – فى الأمثال والحكم والآداب وما يجرى مجراها – فى الإخوانيات بما فيها من ذكر الشوق – فى السلطانيات وما يليق بها – فى ذكر الحبس والإطلاق والنكبة وزوالها – فى العيادة وما ينضاف إليها – فى الأدعية وما يقترن بها .

وقد أشار المصنف فى مقدمة الكتاب إلى جملة من أسماء الشعراء الذين استشهد بهم ، وإن تكن غير كاملة ، وهم ٣٢ شاعرًا جاهليا ، ١٠ شعراء إسلاميين ، و ٢٦

ساعرًا إسلاميا مشهورًا أكثرهم من العصر الأموى ، و ٧٤ من المحدثين ، و ٢٣ وزيراً وكاتبًا من العصر العباسى ، و ٢٢ من المولدين من جيل ابن المعتز ، و ٥٩ شاعرًا من القرن الثالث الهجرى .

والمخطوطة الوحيدة التى نعرفها له الآن توجد فى سراى أحمد الثلث ، تحت رقم ٢٦٣٤ ، فى ٢٢٢ ورقة ، ونسخت عام ٦١١ هـ .

● **سفينة الفصاحة والبلاغة** ، أو سفينة البلغاء ، لمؤلف مجهول ، يمكن أن نضعه فى القرن الثامن الهجرى ، ويصنف الشعراء من الجاهلية حتى العصر العباسى ، ويتضمن معلومات عن حياتهم ، ومختارات من أشعارهم ، ويمتد زمانا حتى يبلغ القرن السابع الهجرى ، وليس له منهج واضح ، ويستطرد طويلاً فى الجوانب التاريخية ، ويقتبس من كتب الأدب ، ويوازن بين الشعراء ممن ينتمون إلى الفترة الزمنية الواحدة ، وأفاد كثيرًا من يتيمة الدهر للثعالبى ، ويعنى بشعرائها ، وأحدث مصادره كتاب « مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار » لابن فضل الله العمرى ، المتوفى عام ٧٤٩ هـ = ١٣٤١ م ، ويتضمن المكاتبات التى جرت بين أبى بكر محمد هاشم **الخالدى** ، المتوفى ٣٨٠ هـ = ٩٦٠ م ، وبين أبى النصر محمد بن المبارك الجيلى ، عن الحوادث التى أدت إلى وفاة **المتنبى** ، وأخذها من ملحق ديوان المتنبى ، وكانت بخط الخالدى نفسه

وتوجد مخطوطة الكتاب فى مكتبة راغب باستنبول ، تحت رقم ١١١٨ ، فى ٢٩١ ورقة ، ويعود نسخها إلى القرن العاشر أو الحادى عشر الهجرى . وتوجد مخطوطة أخرى فى فيينا تحت رقم ٤٢٠ ، فى ٧٤٤ ورقة ، تعود إلى القرن الثالث عشر الهجرى ، ولعلها منقولة عن نسخة مكتبة راغب ، وتوجد لها نسخة أخرى فى المتحف البريطانى ، مخطوطات شرقية تحت رقم ٢٧٩٧ ، فى ٢٩٦ ورقة ، ويعود نسخها إلى عام ١٠٥٢ هـ .

● **السفينة** ، جمع وتأليف أحمد **بن مبارك شاه** المصرى ، المتوفى ٨٦٢ هـ = ١٤٥٨ م ، جمع فيها مختارات من دواوين الشعراء وأخبارهم وتراجمهم ، ومن بدائع المنثور والحكايات ، ومنتخبات من مئات الكتب الطريفة فى شتى الفنون والعلوم ، وهى فى أربعة عشر مجلّدا كلها بخط المؤلف ، ومن بين الشعراء الذين اختارت لهم : بديع الزمان الهمذانى ، وبدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى ، والبحترى ،

وأبو نواس ، إلى جانب حكاياته وهزلياته ، وابن عربشاه ، وأبو تمام ، وأبو فراس الحمدانى ، وقصائد صفى الدين الحلّى الأرتقيات ، المسماة « درر النحور فى مدح الملك المنصور » ، وأبو العلاء المعرى ، والحطيئة ، وابن مكانس ، وقصيدة أبى حيّان النحوى المسماه : « المورد العذب فى معارضة قصيدة كعب » ، وأبو العتاهية ، وأبو الشيص ، وموشحات وأزجال ، وحديث عن سرقات الشعراء ومآخذهم للمعانى ، واختيارات من كتاب « الوشى المرقوم فى حلل المنثور والمنظوم » لابن الأثير ، ولطائف ونوادر وحكايات اختارها من كتاب « الأنساب » للسمعانى ، ورسالة فى الحمام ، وتواريخ الأنبياء ، واصطلاحات الكتاب ومشكلات نحوية .

والمجلد الأول ناقص من آخره ، وكذلك الثالث ، وبقية المجلدات كلها كاملة ، وتوجد فى مكتبة فيض الله باستنبول ، ابتداء من رقم ١٦١٩ للمجلد الأول حتى رقم ١٦٢٢ للمجلد الأخير ، وتتراوح أوراق المجلدات بين ٣١٥ ورقة وهو أكبرها ، و ١٥٠ ورقة ، وهو أصغرها ، ولها مصورة موجودة بمعهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة .

ويلاحظ أن الباحثين يخلطون أحيانًا بين هذين الكتابين ، وبينهما وبين كتابين آخرين ، أحدهما كتاب **السفينة من تأليف محمد بن نجم الدين بن محمد الصالحى** الحلالى المتوفى عام ١٠١٢ هـ = ١٦٠٣ م ، ولا يزال مخطوطًا فى مكتبة أيا صوفيا فى استنبول تحت رقم ٤٠٣٤ ، فى ٢٣٠ ورقة ، وهى نسخة بخط المؤلف ، وأخرى فى مجموعة جاريت بجامعة برنستون تحت رقم ٢٢٢ فى ١٢٥ ورقة ونسخت عام ١٠٨٤ هـ . والآخر سفينة أدبية جمع شهاب الدين أبى العباس أحمد ابن محمد بن عمر الخفاجى المصرى ، المتوفى ١٠٦٩ هـ = ١٦٥٩ م ، وله نسخة بخطه توجد فى مكتبة رئيس الكتاب مصطفى فى استنبول تحت رقم ١٢١٦ ، فى ١٤٥ .

○ كتب الأمالى والمجالس :

مع انتشار التعليم ، وكثرة مجالس العلم ، واتساع ثقافة السامعين ، نلتقى ابتداء من القرن الثانى الهجرى بنمط متميز من كتب الأدب ، ثمرة اللقاء بين

الشيخ وطلابه ، بين الأستاذ والمستمعين له ، أخذت اسم الأمالى أو المجالس ، وقد ضاع جلّها ، وبخاصة تلك التى تنتمى إلى البدايات ، مثل كتاب الأمالى لأبى عبيدة معمر بنى المثنى ، المتوفى ٢١٠ هـ = ٨٥٢ م . وكتاب بالسوان نفسه للأخفش الأصغر ، المتوفى ٣١٥ هـ = ٩٢٧ م ، ولنفطويه المتوفى ٣٢٣ هـ = ٩٣٥ م ، وهذان الكتابان الأخيران كانا معروفين فى الأندلس حتى نهاية القرن الخامس الهجرى .

وصف لنا **جلال الدين السيوطى** ، المتوفى ٩١٠ هـ = ١٥٠٥ م ، طريقة علماء اللغة المتقدمين فى تعليمهم يقول : « وظائف **الحافظ** فى اللغة أربعة ، أحدها – وهى العليا – **الإملاء** ، كما أن الحفّاظ من أهل الحديث أعظم وظائفهم الإملاء ... وطريقتهم فى الإملاء كطريقة المحدثين سواء : يكتب المستملى أول القائمة : مجلس إملاء شيخنا فلان ، بجامع كذا ، فى يوم كذا ، ويذكر التاريخ ، ثم يورد المُمْلى بإسناده كلامًا عن العرب والفصحاء فيه غريب يحتاج إلى التفسير ، ثم يفسره ، ويورد من أشعار العرب وغيرها بأسانيده ، يضمن الفوائد اللغوية بإسناد وغير إسناد ما يختاره . وقد كان هذا فى الصدر الأول فاشيا كثيرًا ، ثم مات الحفّاظ وانقطع إملاء اللغة من دهر مديد ، واستمر إملاء الحديث ... وآخر من علمتُهُ أملى على طريقة اللغويين **أبو القاسم الزجاجى** ، له أمالٍ كثيرة فى مجلد ضخم ، وكانت وفاته سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ، ولم أقف على مالٍ لأحد بعده » .

ويقدم لنا **حاجى خليفة** ، المتوفى ١٠٦٨ هـ = ١٦٥٨ م ، فى كتابه « كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون » مزيدًا من التفصيل عن التأليف فى هذا الفن ، يقول : « هو أن يقعد عالم وحوله تلاميذه بالمحابر والقراطيس ، فيتكلم بما فتح الله سبحانه وتعالى عليه من العلم ، ويكتبه التلاميذ فيصير كتابًا ، ويسمونه **الإملاء والأمالى** ، وكذا كان السلف من الفقهاء والمحدّثين وأهل العربية وغيرها فى علومهم ، فاندرست لذهاب العلم والعلماء ، وإلى الله المصير ، وعلماء **الشافعية يسمون مثله التعليق** » .

ومن الواضح ان كلمة إملاء بهذا المعنى تعنى فى معجمنا الجامعى الحديث **المحاضرة** ، وحتى هذه ذات أصول عربية عريقة ، ولو أنها تأخذ حظها من

الشيوع ولذيوع كما كان الحال مع كلمة « إملاء » . اذ يذكر أبو منصور الأزهرى أن الاصمعىّ أملى كتابا فى النوادر ببغداد ، فزيد عليه ماليس من كلامه ، فأنكر ذلك وقال : خير الكلام ماحاضرتُ به .

ويرد الأمر متداخلا فى المؤلفات الأولى ، فيستعاض عن كلمة **الأمالى** بكلمة **المجالس** ومن ثَمّ هناك من العلماء من لايرى فرقا بين محتوى اللفظين ، ولكن **عبد السلام هارون** يرى أن هناك فرقا دقيقا بينهما ، إذ إن **الأمالى** ، فيما يرى ، مايمليه الشيخ ، أو من ينيبه عنه بحضرته ، فيتلقفها الطلاب بالتقييد فى دفاترهم ، وفى هذا يكون الشيخ قد أعدّ مايمليه ، أو يلقى إلى الطلبة مايشاء من تلقاء نفسه . وأمّا **المجالس** فهى تسجيل كامل لما كان يحدث فى مجالس العلماء ، وفيها يلقى الشيخ مايشاء من تلقاء نفسه ، وفيها كذلك يُسأل فيجيب ، ويدوّن طلابه كل هذا فيما يسمى مجلسا .

والأمالى ليست وقفا على الأدب ، وإنما تتناول مختلف العلوم والفنون ، بل إنها بدأت وازدهرت بين علماء الحديث ، وكانوا أكثر الناس اهتماما بها ، وحافظوا عليها حتى وقت متأخر جدا ، كما أشار إلى ذلك **السيوطى** ، ولو أن التأليف فى الأمالى الأدبية بخاصة لم يتوقف عند التاريخ الذى ذكره . ونأتى فيما يلى على أشهر ماوصلنا من هذه الأمالى :

● **أمالى ثعلب** ، وحققه عبد السلام هارون ، بعنوان **مجالس ثعلب** ، ونشرته دارالمعارف بالقاهرة فى سلسلة ذخائر العرب .

● **أمالى اليزيدى** ، محمد بن العباس بن محمد بن يحيى ، المتوفى ٣١٠ هـ = ٩١١ م ، ونُشرت فى حيدر أباد عام ١٣٦٧ .

● **أمالى بن دريد** ، المتوفى ٣٢١ هـ = ٩٣٣ م ، وحققها السيد مصطفى السنوسى ، ونشرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون قسم التراث العربى ، فى الكويت علم ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

● **أمالى الزجاجى** ، المتوفى ٣٤٠ هـ = ٩٥٢ م ، وحققها عبد السلام هارون ، ونشرها بالقاهرة عام ١٣٨٢ هـ ، وحقق كذلك **مجالس الزجاجى** ، ونشرها فى الكويت عام ١٩٦٢ م .

● **أمالى القالى** ، المتوفى ٣٥٦ هـ = ٩٦٧ م ، وهى من أشهر كتب الأمالى

وأوسعها ، وأذيعها وأملاها أبو على فى جامع مدينة الزهراء التى بناها عبد الرحمن الناصر فى ضواحى مدينة قرطبة[١] ، حين وفد على الأنـدلس عام ٣٣٠ هـ = ٩٤١م ، وهو كتاب متفرقات ، يعرض طائفة من الأحاديث التى تشير إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ، وفصولا متفرقة فى العرب ولغتهم وشعرهم وأمثالهم ، وأخبارا تاريخية تتصل ببعض شعرائهم فى عصر الخلافة ، وقطعًا من النظم والنثر أخذها عن شيوخه .

وقد أهدى أبو على كتابه إلى عبد الرحمن الناصر خليفة الأندلس ، وفيما بعد حاول صاعد البغدادى المتوفى ٤١٧ هـ ، وهو مشرقى قدم الأندلس وأصبح من شعراء المنصور بن أبى عامر ، أن يتصدى لتأليف كتاب يفوق أمالى أبى على ، وزعم للمنصور أنه يملى « على كُتّاب دولته كتابا أرفع منه وأجل ، لا يوجد فيه خبرا مما أورده أبو على ، فأذن له المنصور فى ذلك ، وجلس بجامع مدينة الزاهرة[١] يملى كتابه المترجم « بالفصوص » . وهو كتاب وصلنا ، وتوجد منه مخطوطة جيدة بخزانة القرويين فى فاس .

احتفى الأندلسيون بكتاب أبى علىّ ، وقال عنه ابن حزم العظيم : « هو مبارٍ لكتاب الكامل لأبى العباس المبرد ، ولعمرى لئن كان كتاب أبى العباس أكثر نحوا وخبرا فإن كتاب أبى على أكثر لغة وشعرا ، وكتاب الفصوص لصاعد بن الحسن الربعى ، وهو جار فى مضمار الكتابين المذكورين » .

وكان موضع العناية من علمائهم شرحا وتعقيبا ، فألّف أبو عبيدة البكرى كتابه « التنبيه على أبى على القالى فى أماليه » ، وهو كتاب وصلنا ، ونشره أنطون الصلحانى فى أربعة أجزاء بمطبعة دار الكتب بالقاهرة عام ١٣٤٤ - ١٩٢٦ م وألّف عنه كتابا آخر بعنوان « شرح اللآلى على كتاب الأمالى » ، ونشره عبد العزيز الميمنى فى جزأين بمطبعة دار الكتب بالقاهرة عام ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٦ م ، وبعد ذلك بعام نشر فى القاهرة أيضا فهارس الكتاب وتعليقاته عليه .

نشر كتاب الأمالى مع النوادر والذيل لأول مرة فى القاهرة ، فى مطبعة بولاق

---

(١) الزهراء والزاهرة مدينتان فى ضواحى قرطبة ، بنى الأولى عبد الرحمن الناصر ، وبنى الثانية المنصور بن أبى عامر ، لمزيد من التفاصيل انظر : فون شاك ، الفن العربى فى إسبانيا وصقلية ، ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكى ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٥ .

عام ١٣٢٤ هـ ، وقام المستشرقان **كرنكو وبيفن** بعمل فهارس لأشعار هذه الطبعة ونشراها في ليدن عام ١٩١٣ م ، ونشرته دار الكتب المصرية فى طبعة محققة جيدة عام ١٣٤٨ هـ = ١٩٢٦ م ، وأعادت الهيئة المصرية العامة للكتاب نشر طبعة دار الكتب عن طريق التصوير عام ١٩٧٦ م .

● **أمالى المرتضى** ، المتوفى عام ٤٣٦ هـ = ١٠٤٤ م وهو كتاب فى المجالس ، وعنوانه الاصلى **غرر الفوائد ودرر القلائد** ، وطبع فى القاهرة للمرة الأولى عام ١٩٠٧ م ، وأعيدت طباعته مرارا بعد ذلك ، ويتكون من ثمانين مجلسا ، يدور أكثرها حول موضوعات دينية وعقيدية ، ويتخللها شعر كثير من الجاهلية وصدر الإسلام ، ووصل الينا فى مخطوطات كثيرة ، وحققه العالم الجليل المرحوم **محمد أبو الفضل ابراهيم** فى جزأين ونشره فى القاهرة عام ١٩٥٦ .

● **بهجة المجالس وأُنس المُجالس ، لابن عبد البر الأندلسى** ، المتوفى ٤٦٣ هـ = ١٠٧١ م ، وهو كتاب ضخم ، ويتضمن شعرا من الجاهلية وصدر الإسلام ، ومن العصر العباسى ، والاندلسى بخاصة ، لشعراء ضاعت دواوين أكثرهم ، وقد طُبع محققا فى القاهرة ، وصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ، فى مجلدين ، الأول عام ١٩٦٢ م ، والثانى عام ١٩٧٣ م .

● **أمالى ابن الشجرى** ، المتوفى ٥٤٢ هـ = ١١٤٨ م ، ويتألف من ٨٤ مجلسا ، ولا يتضمن قصائد كاملة ، وإنما اقتصر على مقطعات كثيرة من شعر الجاهلية وصدر الإسلام ، ووصلنا فى مخطوطات كثيرة ، وطبع لأول مرة فى حيدر أباد عام ١٣٤٩ هـ ، ثم حققه محمد الطناحى ، ونال بعمله درجة الدكتوراه من كلية دار نعلوم بجامعة القاهرة ، ولما ينشر بعد .

● **أمالى ابن برى** ، المتوفى ٥٨٢ هـ ، المعروفة بعنوان **التنبيه والإيضاح** ، واشتهرت أيضا باسم **حواشى ابن برى على الصحاح** ، وأملاها فى مجالسه بالمسجد العتيق فى القاهرة ، ونشرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٨٠ م ، بتحقيق عبد العليم الطحاوى ومصطفى حجازى .

● أمالى ابن الحاجب ، المتوفى ٦٤٦ هـ ، وحققها محمد هاشم عبد الدايم ، ونال بها درجة الدكتوراه من كلية دار العلوم ولّما تنشر .

● **أمالى الشهاب الخفاجى** ، المتوفى ١٠٦٩ هـ ، وتُسمى **طراز المجالس** ، وطُبعت بالمطبعة الوهبية بمصر عام ١٢٨٤ هـ .

○ **كتب النحو واللغة :**

لانعرف شيئا محدّدا عن طريقة استخدام الشعر قديما لغايات تربوية أو لغوية ، وبقى أن نفترض أن هذه العملية واكبت غيرها من عمليات التدوين فبدأت قبل النصف الثانى من القرن الثانى للهجرة ، حين كان النحويون واللغويون يلحون على الشواهد الشعرية ، يفسرون بها الغريب ، أو يوضحون الشاذ أو يدللون على ظاهرة لغوية معيّنة ، أو يستشهدون بها فى قواعد لنحو ، ولذلك نجد أبياتا شوارد كثيرة فى كتب النحو واللغة ، وفى تراجم النحويين واللغويين ، ولدينا إشارات عن أقدم كتاب فى الشواهد ألفه **الخليل بن أحمد** ، المتوفى ١٦٠ هـ = ٧٧٧ م ، غير أن الكتاب نفسه ضاع ولما يصلنا ، ونلتقى فى « مجاز القرآن » **لأبى عبيدة** بأكثر من ألف بيت شعر من الشواهد ، وواضح أنه اعتمد فى حالات غير قليلة على مؤلفين آخرين سبقوه .

والمعاجم كلها مفيدة فى هذا الجانب ، ولكن اثنين منها يستحقان إشارة خاصة ، وهما :

● **لسان العرب لابن منظور** ، جمال الدين محمد ، المتوفى ٧١١ هـ = ١٣١١ م ، وهو معجم واسع المادة ، عظيم القدر ، جمع فيه مؤلفه ما رد فى معظم المعجمات التى ظهرت من قبله ، ذكر منها ستة كتب ، ومن ثمَّ فهو يغنى عنها ، وهذه الكتب هى : التهذيب للأزهرى ، والمحكم لابن سيده ، والصحاح للجوهرى ، وحواشى الصحاح لابن دريد ، والنهاية لابن الأثير ، وأمالى ابن برِّى ، وبلغت مواد هذا المعجم ثمانين ألفًا ، وهو عدد لم يجتمع مثله فى أى معجم آخر لامن قبل ولامن بعد ، ورتب كلماته حسب ترتيب أواخره فى حروف الهجاء .

وابن منظور يستطرد فى شرح المادة اللغوية على طريقة أصحاب الموسوعات فى زمانه ، يتوسع فى الاستشهاد على المعانى بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأشعار العرب وأمثالهم وخطبهم ، ومن هنا فكتابه فى الحقيقة إلى جانب مايقدم من

لغة ونحو وصرف وأدب وأخبار وأحاديث وتفسير مصدر لابأس به لأبيات الشعر .

طبع لسان العرب قديما فى مطبعة بولاق عام ١٣٠٧ هـ فى عشرين جزءا من الأجزاء الضخمة ، وأعادت دار المعارف بالقاهرة ترتيبه ونشره فى طبعة حديثة دقيقة ، وصدرت له فى بيروت أكثر من طبعة مصورة عن طبعة بولاق ، بغير عناية فى ترتيب الصفحات . أو محافظة على النسخ كاملة .

● **تاج العروس فى شرح جواهر القاموس للزبيدى** ، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرازق ، الشهير بمرتضى الحسينى الزبيدى ، المتوفى ١٢٠٦ هـ = ١٧٩١ م ، وهو أصلا من زبيد فى اليمن ، وجاء القاهرة فى الثانية والعشرين من عمره يطلب العمل ، وسكن فى حى الصاغة ، وسافر إلى الصعيد ثلاث مرات ، ولقى علماء، وأدباءه ، وأعيانه وكباره ، وإلى الوجه البحرى ، ولقى الترحيب فى أى مكان حل به .

لبث الزبيدى فى تأليف معجمه أكثر من أربعة عشر عاما ، وفرغ منه فى ٢ رجب ١١٨٨ هـ ، واعتمد فى تأليفه على : لسان العرب لابن منظور ، وإضاءة الراموس وإفاضة الناموس على القاموس لأبى عبد الله بن الطيب المغربى ، وهو معجم لما يزل مخطوطا ، ومنه نسخة بمكتبة الازهر ، وأمالى ابن برّى فى ثلاثين مجلدا ، ومنه يتخذ مادة الشرح فى أغلب الاحوال ، والكتاب فى أربعة عشر مجلدا ، فإذا عرفنا أن القاموس نفسه فى أربعة مجلدات ، أدركنا مدى ماأضاف اليه الزبيدى .

والكتاب قريب فى قدره من لسان العرب لابن منظور ، واكتسب شهرة واسعة ، ونال مكانة عظيمة ، وطبعت الأجزاء الخمسة منه لأول مرة فى المطبعة الوهبية بالقاهرة عام ١٢٨٧ م ، ثم طبع كاملا فى المطبعة الخيرية بالقاهرة عام ١٣٠٧ هـ . وأعيد نشره محققا فى طباعة جيدة فى الكويت .

* * *

أما أوضح من شرح شواهد النحو ، وقدّم من خلالها نصوصا نادرة فهو : **عبد القادر البغدادى** ، المتوفى عام ١٠٩٣ هـ = ١٦٨٢ م ، ورغم لقبه فقد أمضى حياته فى القاهرة ، وفيها ألّف كتبه ، ولقى الله ، ورغم قرب عهده نسبيا رجع إلى عديد من المصادر الأولى والهامة ، وأفاد منها ، وعدد كبير من مصادره

ضاع ولّما يصلنا ، مما يصور بدقة حجم الكوارث التى أتت على تراثنا الثقافى فى القرون الثلاثة التى سبقت بداية عصر النهضة فى القرن الماضى ، ويجعل من مؤلفات البغدادى مصدرا أساسيا فيما نقل عنه وأتت عليه أحداث الزمان .

ومن المفيد أن نلقى نظرة مجملة على الخطوات التى دفعت بعبد القادر البغدادى إلى تأليف كتابيه موضع اهتمامنا هنا . ذلك أن جمال الدين أبا عمر عثمان .. **بن الحاجب** ، المتوفى ٦٤٦ هـ = ١٢٤٩ م ، وهو من إسنا فى صعيد مصر ، ألّف فى النحو والصرف والعروض واللغة كتبا كثيرة ، تميزت بالإيجاز والدقة ، ويهمنا من بينها **الكافية** ، وهى مختصر تعليمى فى النحو ، **والشافية** ، وهى مختصر تعليمى فى الصرف ، وراج الكتابان على نحو غير معهود ، حتى ان مخطوطاتهما توجد فى كل مكتبات العالم تقريبا ، وطبعت الكافية لأول مرة فى روما عام ١٥٩٢ م ، وعندما عرف العالم العربى والاسلامى المطبعة راجت طبعتها فى كل أرجائها .

ولقى الكتابان اهتماما من الشراح لم يحظ به كتاب فى النحو قبلهما ، فعرفت « الكافية » أكثر من سبعين شرحا ، ومايقرب من خمسين حاشية على شروحها ، وثلاث مختصرات ، وثلاث منظومات ، وبين شروحها عدد لابأس به باللغتين الفارسية والتركية ، ولم تكن « الشافية » بأقل اهتماما . وإن لم تبلغ مبلغ الأولى ، فعليها ستة وعشرون شرحًا ، وخمس حواشٍ ، وأربع منظومات ، وبين شروحها بعض بالفارسية والتركية أيضًا .

من بين شرّاح الكتابين **رضى الدين الاستراباذى** ، المتوفى ٦٨٦ هـ = ١٢٨٧ م ، وفرغ من شرحه للكافية فى ٦٨٣ = ١٢٨٤ م ويعتبر من أحسن شروح الكافية ، بل من أحسن كتب النحو بعامة ، طُبع لأول مرة فى ستنبول عام ١٣٠٥ هـ - ١٣١٠ هـ ، ثم توالت طبعاته بعد ذلك فى القاهرة ، وطهران ، ولكنو . وكذلك شرح الشافية ، وطبع فى لكنو عام ١٢٦٢ هـ ، وطهران ودهلى ، والهند ولاهور ، والقاهرة ، على أن أحسن طبعاته تلك التى حققها وضبطها كل من : محمد نور الحسن ومحمد محيى الدين عبد الحميد ، ومحمد الزفزاف ، والاثنان الأوّلان من كبار علماء الأزهر ، والثالث من دار العلوم وكان أستاذا لى ، وهى أدق وأجود مانشر للكتاب ، وصدرت فى القاهرة عام ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م .

كانت مهمة **عبد القادر البغدادى** أن يشرح الشواهد التى جاءت فى شرحى

الكتابين ، إذا كانت الشواهد قليلة ، فهى لاتتجاوز فى الشافية مثلا مئة وستة وتسعين بيتا ، إلا أن البغدادى لايقف فى شرحه للشاهد ، سواء فى الكافية أو الشافية ، عند البيت موضع الشاهد فحسب ، وإنما يتجاوزه ، فيأتى أحيانا بالقصيدة كلها ، أو بعض أبياتها ، وبأبيات أخرى يستشهد بها على ماقال ، أو تتضمنها قصة ارتبطت بالبيت ، وهو فى هذا ينقل عن دواوين الشعراء ، وكتب الأمالى والنوادر ، والنحو ، واللغة وغيرها ، وجانب كبير منها ضاع ولم يصلنا ، كما أشرنا من قبل ، وحين يختلف العلماء حول رواية قصيدة يذكر الآراء كلها . فإذا ذكر لشاهد :

غداةَ طَفَتْ عَلْمَاءِ بَكْرُ بنُ وائلٍ وعاجتْ صدورُ الخيل شَطْرَ تميم

عقب عليه : « على أن أصله « على الماء » ، كما بينه . قال المبرِّد فى الكامل : يريد على الماء ، والعرب إذا التقت فى مثل هذا اللامان استجازوا حذف إحداهما استثقالا للتضعيف ، لأن مابقى دليل على ماحذف « والبيت من قصيدة عدتها اثنا عشر بيتا لأحد الخوارج ، قالها فى وقعة دولاب ، وهزموا أهل البصرة حتى غرق أكثرهم ، وعطفوا على بنى تميم فأصابوا » .

وبعد أن فسر لغويات البيت وحلله نحويا ، وبيّن معناه ، أضاف : « أقول : البيت من قصيدة أوردها المبرِّد فى قصص الخوارج من الكامل ، ونسبها لقطرى بن الفجاءة المازنى ، وهى :

لَعَمْرُكَ إنّى فى الحياةِ لزاهِدٌ وفى العيْشِ مالم ألْقَ أمَّ حكيم

وبعد أن أتى على الأبيات كلها أتبعها : « وقال : الأصبهانى فى « الأغانى » : « ذكر المبرِّد أنّ الشعر لقطرىّ بن الفجاءة ، وذكر الهيثم بن عدى وخالد بن خِداش أنه لعمرو القَنا ، وذكر وَهْب بن لحبيب بن سَهْم التميمى ، وذكر أبو مِخْنَف أنه لعبيدة بن هلال اليشكرى ، وقال المدينى : هو لصالح بن عبد الله العَبْشَمى » والله تعالى أعلم » .

حمل شرح البغدادى لشواهد شرح الكافية اسم خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، وشهر به ، وطبع فى بولاق لأول مرة عام ١٢٩٩ هـ ، ثم حققه عبد السلام هارون ، وتولت نشره الهيئة المصرية العامة للكتاب منذ عام ١٩٦٧ ،

وتولت مكتبة الخانجى فى القاهرة ومكتبة دار الرفاعى فى الرياض إصدار طبعات أخرى من التحقيق نفسه .

وأمّا شرحه لشواهد شرح الشافية فقد طبع لأول مرة بالقاهرة بتحقيق محمد نور الحسن ، ومحمد الزفزاف ، ومحمد محيى الدين عبد الحميد ، فى طبعة جيدة عام ١٣٥٦ هـ وجاءت تذييلا لنشرهما شرح شافية ابن الحاجب لرضى الدين الاستراباذى ، وشغل الشرح نفسه ثلاثة أجزاء من هذه الطبعة ، وشرح شواهد الشرح للبغدادى الجزء الرابع منها . على أن **البغدادى** فى شرحه هذا لم يقف عند شرح شواهد شرح الاستراباذى ، وإنما ضم إليها أبيات شرح المحقق لعلامة **أحمد ابن الحسن الجاربردى** ، المتوفى ٧٤٦ هـ = ١٣٤٥ م ، على الشافية ، وهو من أوائل الكتب العربية التى طبعت فى الهند واستنبول وطهران والقاهرة وغيرها ، وذلك استجابة لإشارة بعض الأفاضل عليه ، « لمسيس الحاجة إليها لكثرة تداولها تدريسا ومراجعة ، حتى يعم النفع ، وهى اثنان وخمسون بيتا » .

* * *

هناك كتابان هامان من كتب الشواهد لمّا يزالا مخطوطين ، وهما :

● **كتاب أبيات الاستشهاد** ، **لأحمد بن فارس** بن زكرياء القزوينى ، المتوفى ٣٩٥ هـ = ١٠٠٥ م ، ولايزال مخطوطا . وأهم منه كتاب :

● **الدر الفريد وبيت القصيد** ، **لمحمد بن سيف الدين أيْدَ مُر** ، لتوفّى أواخر القرن السابع الهجرى ، وهو أكبر مجموعة وصلتنا تضم أبياتا مفردة ، وقطعا من قصائد ، وظلت طويلا لايعرفها إلاّ القليلون .

ويقع هذا الكتاب فى ثلاث مجلدات من القطع الكبير ، ووصلنا بخط المؤلف . وهو يحكم على الأبيات من وجهة نظر فنية خالصة . ويبدأ بفصل كبير ، وهام للغاية يتناول مسائل نظرية تتصل بالشعر ، وتعقبها أبيات من كل العصور . استخدمت فى الكتابة الزخرفية ، والغناء ، والقص ، والرواية ، وشواهد لغوية ، وبعضها مما جرى مجرى الحكم والأمثال .

والمجلد الثانى يضم وحده ٧٣٠١ بيت من الشعر ، مرتبة أبجديا وفق الكلمة الأولى من كل بيت ، وعلى الجانب الأيمن نجد اسم الشاعر ، كما نجد على الجانبين تعليقات وإضافات ، مما يجعل عدد الشواهد أكثر مما فى صلب الكتاب .

يوجد المجلد الأول والثانى من مخطوطات الكتاب فى استنبول على النحو التالى : **المجلد الأول** مكتبة فاتح ، تحت رقم ٣٧٦١ ، القسم الأول منه فى ١٦٦ ورقة ، و نثانى فى ١٨١ ورقة ، وهو بخط المصنف ، وتم نسخه عام ٦٩٣ هـ . **والمجلد اثانى** فى مكتبة أسعد ، تحت رقم ٢٥٨٦ ، فى ٢٦٠ ورقة ، وهو بخط المصنف أيضا ، وفى مكتبة أيا صوفيا تحت رقم ٣٨٦٤ ، فى ٤١٥ ورقة ، تم نسخه بخط المؤلف عام ٦٩٤ هـ ، وفى سراى أحمد الثالث ، تحت رقم ٢٣٠١ ، فى ٣٨٠ ورقة ، ونسخت عام ٧٠٥ هـ بخط المؤلف نفسه . ويوجد **المجلد الثالث** فى إيران ، فى مكتبة مشهد ، فى ٢٦٧ ورقة ، وهى نسخة بخط المؤلف أيضا .

وهناك مجلد فى مكتبة إمبروزيانا فى ميلانو ، تحت رقم H C فى ٢٠٥ ورقات ، ونسخ حوالى عام ٦٨٠ هـ بخط المؤلف ، يبدأ بكلمة « بر » ، وينتهى بكلمة « فما » ، ويبدو انه من الصياغة الأولى للكتاب .

وقد درس الدكتور **حنا جميل حداد** « شواهد النحوالشعرية : مصادرها ومناهجها » ، وجعل من الموضوع رسالته للدكتوراه ، وتقدم بها إلى كلية الآداب فى جامعة عين شمس عام ١٩٧٥ ، ولمّا تزل مخطوطة ، وكسرها على قسمين ، درس فى الأول منها المناهج والمصادر ، وجمع فى الثانى كل شواهد النحو رجزا وقصيدا فبلغت ٣٨٠ بيت أو شاهد ، منها ٥٨٥ بيتا من الرجز ، والباقى من القصيد ، وخص امرأة منها ٤٩ بيتًا .

○ المختارات المصنفة :

منذ زمن مبكر ظهرت منتخبات شعرية تقوم على أحكام تقديرية ، وتهدف إلى جمع القصائد ذات النوع الواحد ، أو الإلهام المتشابه ، وتتخذ لها شكلا معينا تدير حوله اختيارها ، قد يكون فنيا ، أو اجتماعيا ، أو موضوعيا ، أو طبقا لواقع الشاعر نفسه ، عملا ، أو قدرة ، أو هواية ، أو مكانة ، أو نوعًا ، أو اسما ، أو حتى لمجرد صدفة عابرة . وبعض هذه الكتب ضاع ، ولا نعرف عنها إلّا عناوينها ، مثل طبقات الفرسان أو « كتاب الموالى » ، ولكن يمكن أن نكوّن فكرة عما لم يصل فى ضوء ماوصل .

كان أبو **عبيدة** معمر بن المثنى مبرزا فى هذا الجانب ، فألّف « كتاب لصوص

العرب » ، أو الصعاليك ، و « كتاب الموالى » ، « وكتاب العقفة والبررة » ، وهو الوحيد الذى وصلنا منها ، وحققه **عبد السلام هارون** فى نوادر المخطوطات ، الجزء الثانى ، وصدر عن مكتبة الخانجى فى القاهرة .

ورغم أننا لم نعثر حتى الآن على كتابى أبى عبيدة « لصوص العرب » و « **الحرّاب** » ، ولا على كتاب شعراء اللصوص للقيط المحاربى ، ولا « أشعار الشراة لعمر بن شبة ، فإننا نستطيع تكوين فكرة تقريبية عنها ، مما أورده **السكرى** فى كتابه « « أخبار اللصوص » ، وصنفه فى أشعار البدو المشهورين باللصوصية ، ومكانتهم فى قبائلهم ، ويضم كتاب السكرى ديوان **طهمان بن عمر الكلابى** ، ويعرف بطهمان اللص ، وعاش فى النصف الأول الهجرى ، وله أخبار قليلة تدور حول مغامراته لصا ، وقاطع طريق فى اليمن واليمامة ، وعاصر عبد الملك بن مروان ، وكانت قصيدته إلى **الوليد بن عبد الملك** آخر ماعرف عنه .

وديوان طهمان صغير ، فى خمس عشرة قصيدة ، وله شرح حديث يوجد مخطوطا فى دار الكتب المصرية ، قام به **محمد العطار المصرى** ، بعنوان : « كشف المعانى والبيان فى شرح ديوان طهمان » ، فى ٩١ ورقة ، ويرجع تاريخ نسخه إلى عام ١٣١١ هـ ، واعتمد شارحه على طبعة و .**دايت** فى مجلة Opuscula Arabica عام ١٨٥٩ م ، وكان **آلورد** قد نشر الديوان قبله عام ١٨٥٠ ، اعتمادا على مخطوطة توجد فى مكتبة ليدن .

وأخيرا قام **محمد جبار المعيبد** بتحقيق الديوان ، وظهر فى بغداد عام ١٩٦٨ ، وأضاف إلى ما أورده **السكرى** أبياتا التقطها من كتب الأدب والمعاجم ، بينها قصيدة من ٣٢ بيتا ، وجدها فى كتاب « منتهى الطلب » الذى أشرنا إليه فيما سبق .

○ أشعار النساء :

بدأ التأليف عن النساء فى زمن مبكر جدا ، وأغلب هذه المؤلفات ضاع ولم يصلنا ، ويمكن القول ان هذا التأليف كان يسير فى اتجاهين ، عُنى أحدهما بأشعار النساء فحسب ، وعُنى الآخر بأخبارهن ، وتجىء مختلطة بالشعر أيضا . وقد

ضاعت أعلب الكتب المتصلة بالجانب الأخير ، فلم يصلنا « كتاب المعرفات من النساء فى قريش » لهشام بن الكلبى ، المتوفى ٢٠٦ هـ = ٨٢١ م ، ولا « كتاب الحرات » ولا « كتاب النوائح » لأبى عبيدة ، ولا « كتاب النساء والغزل » لابن قتيبة ، ولا « كتاب أخبار النساء » لهارون بن على بن يحيى المنجم ، المتوفى ٢٨٨ هـ = ٩٠١ م ، ولا « كتاب النساء والغزل » لمحمد بن خلف بن المرزبان ، المتوفى ٣٠١ هـ = ٩٢١م ، ولا « كتاب الإماء الشواعر » لأبى الفرج الأصفهانى ، ولا « أخبار النساء » لأسامة بن منقذ ، المتوفى ٥٨٤ هـ = ١١٨٨ م ولا « كتاب النساء الشواعر » لناجى بن عبد الواحد بن الطراح ، وكان حيا عام ٧٢٠ هـ = ١٣٢٠ م .

ووصلنا من هذا الاتجاه كتابان ، ألف الأول أبو طالب على بن أنجب **بن الساعى** المتوفى ٦٧٤ هـ = ١٢٧٥ م ، بعنوان : « جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء » ، فى مخطوطة وحيدة ، توجد ضمن مجموع ، فى مكتبة ولى الدين فى استنبول ، وحققه **مصطفى جواد** ونشره فى القاهرة دون تاريخ ، ويمكن أن يكون حول عام ١٩٦٠ ، بعنوان : « نساء الخلفاء » .

والثانى من تأليف جلال الدين **السيوطى** ، المتوفى ٩١١ هـ = ١٥٠٥ م بعنوان : « المستظرف من أخبار الجوارى » ، وحققه صلاح المنجد فى بيروت عام ١٩٦٣ .

ويمكن أن نقول الشىء نفسه عن كتب الاتجاه الأول ، وهى التى وقفها مؤلفوها على الأشعار ، أو كانت هذه تمثل عندهم الغاية الأولى على الأقل ، فقد ضاع كتاب محمد بن عبيد الله بن عمر **العتبى** ، المتوفى ٢٢٨ هـ = ٨٤٢ م عن « أشعار النساء اللائى أحببن ثم أبغضن » مع بقية كتبه التى ضاعت ، ولم يصلنا كتاب **المفجع البصرى** ، المتوفى ٣٢٧ هـ= ٩٣٩ م ، وكان كاتبا ونحويا وأديبا وشاعرا معروفا وتلميذا لثعلب ، ولا « كتاب أشعار الإماء والمماليك » لأبى الفرج الأصفهانى ، ووصلنا منه :

● **بلاغات النساء لأحمد بن أبى طاهر طيفور** ، المتوفى ٢٨٠ هـ = ٨٩٣ م ، وكان أول أمره مؤدِّب كُتّاب عاديًا ، ثم تخصّص ناسخًا فى سوق الوراقين ، وتحول

إلى العلم أخيرا ، فألّف كتبا كثيرة ، وأصبح معروفا ، ومن بين مؤلفاته « اختيار المنظوم والمنثور » فى ثلاثة عشر جزءا ، وصلنا منها الحادى عشر والثانى عشر فى مخطوطة المتحف البريطانى ، فى ١٥٦ ورقة ، ونُسخت عام ١٠٩٢ هـ ، وثمة نسخة فى المدينة المنورة تضم الاجزاء الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر ، وتوجد فى دار الكتب المصرية نسخة من هذه الأجزاء الثلاثة ، تحت رقم ٥٨١ أدب ، فى ٢٣٨ ورقة ، نسخها عن مخطوطة المدينة محمد على بن عثمان الردوسى الحسنى عام ١٢٩٧ هـ ، ويهمنا من بين هذه الأجزاء الجزء الحادى عشر لأنه خصصه فى بلاغات النساء وجواباتهن وطرائف كلامهن ، وأخبار ذوات الرأى منهن ، ويضم معظم ماقالته المرأة شعرا ونثرا فى العصور التى سبقته ، منذ الجاهلية لى أيامه ، وتضمن ٩٢ قصيدة أو مقطوعة للنساء ، إلى جانب النثر بدأها بأقوال الصحابيات ، ثم نساء خلفاء بنى أمية وغيرهن ، ومنازعات الأزواج فى المدح والذم ، وبلاغات النساء ومقاماتهن وأشعارهن ، وأخبار ذوات الرأى والجزالة منهن ، ونوادرهن ، وجواباتهن ، وصرّح بأن أشعار النساء فى كل فن ، للجاهليات والإسلاميات والمحدثات من الحرائر والإماء ، وقد نشر **أحمد الألفى** هذا الجزء بعنوان « بلاغات النساء » فى القاهرة عام ١٣٢٦ هـ = ١٩٠٨ م دون أن يشير إلى المخطوطة التى اعتمد عليها ، وفى العام نفسه طبع فى لنجف بالعراق ، ثم طبع بالقاهرة ثانية عام ١٣٦١ هـ = ١٩٤٢ م ، والكتاب فيما أرى قمين بأن يحقق على نحو علمى لما يحتوى عليه من نصوص أدبية لاتوجد فى مصادر غيره .

● **أشعار النساء لمحمد بن عمران المرزبانى** ، المتوفى ٣٨٤ هـ = ٩٩٣ م ، وهو كبير الحجم ، وأفضل من سابقه فى شعر المرأة ويوشك أن يكون ديوان شعر لكثير من الشواعر المجهولات ، وذكر ياقوت الحموى أنه فى نحو ست مئة ورقة ، وكان فى ستة أجزاء ، لم يصلنا منها إلا نصف الجزء الثالث ، ويضم ١٢٨ نصا شعريا ، وتراجم لثمان وثلاثين شاعرة ، لاتذكر لهن الكتب المطبوعة ية أخبار ، وانفرد بمجموعة من أشعار النساء الخرجيات وأخريات غيرهن ، وصنف مختاراته تصنيفا قبليا ، فوزع الشاعرات وفقا لقبائلهن ، وأشار إلى الفروق التى بين الروايات المختلفة أحيانًا ، وفسر بعض الكلمات الغريبة فى بعض المواضع وتفاوتت تراجمه للشاعرات بحسب أهميتهن . وقد حقق هذاالجزء **سامى مكى**

العانى وتلال ناجى ، ونشراه فى بغداد عام ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م .

● ربّ الظما فيمن قال الشعر من الإما ، لابن الجوزى ، أبو الفرج عبد الرحمن المتوفى ٥٩٧ هـ = ١٢٠٠ م ، وهو فقيه حنبلى ، وواعظ ، وكاتب فى التاريخ العام ، وتناولت مؤلفاته جميع علوم عصره ، وكان له أعظم الأثر فى الوعظ والإرشاد . وكتابه الذى معنا جمع فيه ماوقع إليه من أخبار الإماء فى الدولتين الأموية والعباسية ، وتضمن شعر ثلاثين شاعرة من مشاهير الجوارى ، أمثال عنان وسكن وبدعة وعريب وجلنار ومها ومحبوبة ، وغيرهن الجوارى ، وترك هذا الكتاب أثره فى بقية مؤلفات ابن الجوزى ، فلم يعرض فيها لشعر النساء ، إلا النزر اليسير ، مكتفيا به ، مثل كتابه « ذم الهوى » ، وهو مرجع ضخم ، ومكان طبيعى لأخبار النساء مع الرجال ، ورغم هذا لم يضمنه من أشعار النساء غير ستة عشر نصا ، بعضها للحرائر والآخر لشاعرات من الإماء .

والكتاب لم يزل مخطوطا لمّا ينشر أو يحقق . ولابن الجوزى كتاب آخر عن « أخبار النساء » لايقف عند الشواعر منهن فحسب ، وقد حققه وشرحه الدكتور نزار رضا ، ونشره فى بيروت عام ١٩٧٣ م

● الحدائق الغنّاء فى أخبار النساء ، لأبى الحسن على بن محمد المعافرى المالقى ، المتوفى ٦٠٥ هـ = ١٢٠٨ م ، تضمنت تراجم شهيرات النساء فى صدر الإسلام . ومخطوطه يضم أحد عشر جزءا ، حققت منه الدكتورة عائدة الطيبى الأجزاء الثالث حتى التاسع فقط ، وتركت الأول والثانى والعاشر والحادى عشر ، لأن هذه الأجزاء الأربعة تتناول ، فيما ترى ، أخبار المرأة منذ بدء الخليقة ، أما الأجزاء السبعة الأخرى فتتعلق بشهيرات النساء فى صدر الإسلام ، ويبلغ عدد النساء المذكورات فى فهارس الأجزاء تسعا وعشرين امرأة لهن صلة برجال مشهورين . منهن ثمانى مغنيات جوار ، ويتمتعن بشىء من الموهبة الشعرية ، وليس ثمة صلة مشتركة بين المذكورات فى كل جزء . ومن الشواعر اللائى ذكرهن : نائلة بنت الفرافصة ، وأم البراء ، وهوى ، وأم حكيم ، وأم سلمة ، وأم سنان ، وعزة ، وفاطمة بنت الحسين ، وليلى الأخيلية ، وغيرهن . وذكر لكل منهن شعرا ، وقد نشرت الكتاب الدار العربية للكتاب فى ليبيا بلا تاريخ .

● **نزهة الجلساء فى أشعار النساء للسيوطى** ، وحققه صلاح المنجد ، ونشره فى بيروت عام ١٩٥٨ .

○ **ألوان أخرى :**

وهناك من كتب عن شعراء كل مايجمع بينهم **الاتفاق فى الاسم أو الكنية أو اللقب أو العاهة أو ظروف الحياة** ، فكتب **ابن الأعرابى** المتوفى ٢٣٠ هـ = ٨٤٥ م ، « كتاب من نسب من الشعراء إلى أمه » ، وضم خمسين شاعرا ينسبون إلى أمهاتهم ، وألّف **ابن حبيب** ، المتوفى ٢٤٥ هـ = ٨٦٠ م ، كتابا فى الموضوع ذاته وبالعنوان نفسه ، و « كتاب المغتالين من الأشراف فى الجاهلية والإسلام وأسماء من قتل من الشعراء » و « كتاب كنى الشعراء ومن غلبت كنيته على اسمه » ، وكل هذه الكتب وصلتنا ، ونُشرت محققة .

وألّف **الجاحظ** كتابا عمن يُسمى عمرًا من الشعراء ، ضاع ولم يصلنا ، وبالعنوان نفسه ألّف **ابن الجرّاح** ، المتوفى عام ٢٩٦ هـ = ٩٠٨ م ، « كتاب من اسمه عمرو من الشعراء فى الجاهلية والإسلام » ، أتى فيه على الشعراء الذين يحملون هذا من الجاهلية حتى زمنه ، وأورد فيه أسماء الشعراء على أساس قبائلهم ، وعددهم خمسة شعراء ومئتين ، منهم ٧٨ من مضر ، و ٥١ من ربيعة ، و٧٦ من اليمن ، ورتبهم فى نطاق قبائلهم تاريخيا ، فبدأ بالجاهليين ، فـالخضرمين ، فالإسلاميين والأمويين ، فالعباسيين ، والكتاب لمايزل مخطوطا ، وتوجد مخطوطته فى مكتبة جامع فاتح فى استنبول ، فى تركيا ، تحت رقم ٥٣٠٦ / ٢ ، فى مجموع ، من الورقة ٢٢ إلى ٦٩ ، ونسخت عام ٦١٤ هـ = ١٢١٧ م ، ومنه نسخة حديثة فى دار الكتب المصرية ، وقد نشر المستشرق الألمانى يروى Brau قسما منه فى بحث له بعنوان : « التقسيم القديم للشعراء العرب وكتاب من اسمه عمرو لابن الجراح » ، ونشره فى عامى ١٩٢٧ و١٩٢٨ .

وألف **القفطى** ، المتوفى عام ٦٤٦ هـ = ١٢٤٨م « المحمدون من الشعراء وأشعارهم » ، جمع فيه ثلاث مئة ترجمة لمن اسمه محمد من الشعراء ، من الجاهلية حتى أيامه ، ورتبه على حروف المعجم بالنسبة إلى آبائهم ، وتتفاوت تراجمه طولا وقصرا بحسب المادة المتاحة له ، من المصادر التى ينقل عنها ، وما وصـنا من كتابه

ينتهى عند حرف السين بالنسبة للأب ، ولانعرف ما إذا كان المؤلف نفسه توقف عند هذا الحرف ، أو أن بقية الكتاب ضاعت ، وما وصلنا حققه رياض عبد الحميد مراد ، ونشره المجمع العلمى فى دمشق عام ١٩٧٥ م .

وألّف **أبو حاتم السجستانى** ، المتوفى حول ٢٥٠ هـ = ٨٦٤ هـ « كتاب المعمرين » ، تناول فيه من عمر من الشعراء ، ونشره **جولد تسيهر** فى ليدن عام ١٨٩٩ م ونشر ثانية بالقاهرة عام ١٣٢٣ هـ = ١٩٠٥ م ، وحقق أخيرا .

* * *

وهناك مَن اتخذ مِن **المعانى** محور تأليفه ، فهو يجمع من الشعر ماقيل حول موضوع واحد ، فألّف **على بن حمزة الكسائى** ، المتوفى ١٥٦ هـ = ٧٧٣ م ، « أشعار العياة وطرائقها » ، **والأصمعىّ** « كتاب الأراجيز » ، وعلى بن محمد **المدائنى** « كتاب التعازى » ، **والمبرد** « التعازى والمراثى » ، **وابن المعتز** « مكاتبات الإخوان بالشعر » .

واشتهر الأندلسيون بهذا اللون من التأليف ، وبعض هذه المؤلفات لمّا نعثر عليه ، وبعضها وصلنا ، ومن هذه « كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس » . تأليف **ابن الكتانى الطبيب** ، المتوفى قريبا من ٤٢٠ هـ = ١٠٢٨ م ، وتوجد مخطوطته فى مجموعة إسماعيل صائب فى مكتبة كلية اللغة والتاريخ والجغرافيا فى أنقرة ، ويضم مقطوعات لواحد وتسعين شاعرا ، ويتضمن الكتاب ستة وستين بابا ، تناول فى كل واحد منها موضوعًا محدّدا ، وفيه نصوص لانجدها فى أى مصدر أندلسى آخر ، كالمقطوعات التى اختارها للشاعر الطليق المراوني ، فما أورده له يعدل ماوجدناه للشاعر فى كل المصادر الأندلسية الأخرى مجتمعة[1] . وقد نشرت دار الثقافة فى بيروت الكتاب عام ١٩٦٦ ، ولكن فى طبعة تجارية سيئة ، ومن ثم فهو يحتاج إلى إعادة تحقيق .

وهناك كتاب « البديع فى وصف الربيع » تأليف **أبى الوليد الحميرى** ، المتوفى قريبا من ٤٤٠ هـ = ١٠٤٨م ، وهو أندلسى من إشبيلية ، وأراد بكتابه هذا أن

---

(١) لتكوين فكرة كاملة عن الشاعر وديوانه ، انظر : مع شعراء الأندلس والمتنبى ، الفصل الخاص بالشاعر الطليق وديوانه ، ترجمة د . الطاهر أحمد مكى الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٥ .

يبرهن على روعة الشعر الأندلسى وخصوبته وتنوعه ، فاقتصر فيه على شعراء الأندلس ، وعلى الذين من إشبيلية بخاصة ، لأنها مسقط رأسه ، وجعل الربيع ومافيه من نَوْر وزهور محور مقطوعاته ، ورغم أنه ألّف الكتاب شاعرًا التزم فى اختياره وتنظيم مواده منهجا نقديا صارما ، أورده فى المقدمة ، والتزمه فى التطبيق ، وقد نشر **هنرى بيرس** الكتاب عن مخطوطة وحيدة فى الإسكوريال ونشره فى باريس عام ١٣٥٩ هـ = ١٩٤٠ م .

وحول الصراع القبلى دارت مؤلفات مفيدة ، نجىء فيها الأشعر عرضا ، وأحيانا يتخذ المؤلفون من الأشعار أساسا يبنون عليه القصص والحكايات ، وحتى الأحداث والوقائع ، ويتجلى ذلك واضحا فى الكتب التى عُنيت بأيام العرب ، ومناقبها ومثالبها ، وبعضها قديم يرجع إلى القرن الأول الهجرى ، وكثير منها ضاع ، أو نعرف عناوينه فحسب ، مثل : « كتاب المثالب » ، تأليف **زياد بن أبيه** ، المتوفى ٥٣ هـ = ٦٧٣ م ، و« المآثر والمنافرات » ، تأليف **خالد بن طليق** الخزاعى ، المتوفى ١٦٦ هـ = ٧٨٢ م ، و « مثالب العرب » ، من عمل **هشام الكلبى** ، وهو كتاب وصلنا . وأورد ابن النديم فى كتابه الفهرست طائفة كبيرة من هذه المؤلفات يمكن الرجوع إليها فى الفصل الخاص به من الكتاب .

وأشهر هذا اللون من المؤلفات **كتب النقائض** ، وهى التى ترصد الهجاء المتبادل بين الشعراء ، وتضم أيضا مدح الشاعر لقبيلته ، مسجلا بطولاتها ومناقبها ، ونلتقى بهذا اللون من الشعر فى المؤلفات المبكرة التى تحدثت عن أيام العرب ، وفى دواوين القبائل ، أو مفردة أوقفها مؤلفوها على هذا اللون ، ومن هذا الأخير : « نقائض جرير والأخطل » لأبى عمرو الشيبانى ، و « نقائض جرير والفرزدق » لأبى عبيدة .

○ كتب الطبقات :

التقسيم إلى طبقات أقدم ماعرف لفكر الإسلامى ، وعُنى به « أناس يرجعون إلى طبقة ، أو صنف ، فى تعاقب زمنى جيلا بعد جيل ، أو يتشابهون فى سن أو عهد » . وهو ابتداع عربى أصيل ، جاء تطورا طبيعيا لفكرة صحابة رسول الله ، حين ارتبطت هذه مع نقد الإسناد فى علم الحديث ، واستُعملت فى بدء لترجمة

الشخصيات الهامة فى نقل السُّنة ، ثم فى تصنيف أنواع الرجال وبخاصة العلماء ، وأخيرا فى تصنيف الأحداث كما هو الحال فى تاريخ الإسلام للذهبى مثلا . وهو منهج لاصة له بطريقة الترتيب تبعا للسنين ، التى كانت مألوفة فى تقاليد التراجم الإغريقية ، ودخلت الفكر العربى فى زمن متأخر مع شيوع الترجمة ، ولا باستعمال الكلمة قديما فى وصف الدول الفارسية الأربع المتعاقبة .

وطبيعى أن يترك هذا أثره فى الأدب وتأريخه ، فبعد أن دوّن العلماء دواوين القبائل ، وأيام العرب ، وأنسابها ، وأخبارها ، ومثالبها ، وأخبار الشعراء منفردين ، بدأ التأليف عن الشعراء جملة ، فكان كتاب الأغانى ليونس الكاتب يضم ثمانية وثلاثين مغنيا ، أخبارهم وأغانيهم ، وهو أقدم كتاب نعرفه من هذا النوع ، وسوف يحتذيه أبو الفرج الأصفهانى فى كتابه الذى حمل الاسم نفسه ، وسار على هديه ، وكان كتاب يونس فى الجانب الأدبى يوازى فى الجانب العقيدى كتاب واصل بن عطاء المعتزلى ، المتوفى ١٣١ هـ = ٧٤٨ م ، الذى حمل اسم « طبقات أهل العلم والجهل » .

ومنذ منتصف القرن الثانى للهجرة بدأ التأليف فى كتب الطبقات الجامعة يسير جنبا إلى جنب مع التأليف عن حياة الشعراء وجمع أشعارهم منفردين ، واضطلع بتأليف كتب الطبقات عدد من كبار من العلماء ، وجامعى اللغة ، أمثال : هشام بن الكلبى ، وأبى عبيدة ، والأصمعى ، ودعبل الخزاعى ، والجاحظ ، وعمر بن شبة ، وآخرون ، وقد ضاع جانب كبير من هذه المؤلفات ، ولكن بعضا قليلا منها وصلنا ، وكان تحقيق جلة من العلماء ، مثل كتاب طبقات فحول الشعراء ، والشعر والشعراء ، والأغانى ، وسوف نخص كل واحد منها ، وغيرها من الكتب التى عنيت بالتأريخ للشعر والنثر والحياة الأدبية بدراسة مفصلة تلى هذه السطور .